القوقاز
جذور الأزمة وانعكاساتها الإقليمية

م.م. ياسر محمد عليوي

كلية القانون العام/ جامعة الأنبار

مقدمة

تعد منطقة القوقاز، بدولها المستقلة حديثا عن الاتحاد السوفيتي، وأقاليمها الطامحة إلى الاستقلال عن روسيا الاتحادية، من أكثر المناطق في العالم تأزما. ذلك أنها تتألف من مزيج معقد من الأثنيات الدينية والعرقية المتناحرة والتي تمتلك تاريخا طويلاً من العلاقات المتوترة والعداء المستحكم والتنافس للاستحواذ على هذه المنطقة. كما أن هنالك أطرافاً إقليمية تحيط بالقوقاز، تمتلك تاريخاً من التأثير والتأثر المتبادل بما يجري فيها، تتنافس هي الأخرى لبسط نفوذها على دول هذه المنطقة وشعوبها، وهذه الأطراف هي روسيا وتركيا وإيران، بالإضافة إلى الغرب الذي يحاول تارة أن يتغلغل بشكل مباشر، وتارة عبر تركيا، ليتجنب إثارة رد فعل روسي. وتنبع أهمية دراسة ما يجري في هذه المنطقة من أهمية موقعها كحلقة وصل بين قارتي آسيا وأوربا، وضخامة ثرواتها الاقتصادية، خاصة النفطية والغازية وكذلك كونها تمثل ممراً لثروات بحر قزوين الكبيرة إلى العالم. كما أنها منطقة شديدة القرب من المشرق العربي، ترتبط كثير من شعوبها معه برابط الدين، ويمكن لاستمرار عدم استقرارها، أن يؤدي إلى تداعيات في الدول المجاورة كتركيا وإيران، قد تمتد آثارها إلى منطقتنا العربية وبالأخص العراق وسوريا لقربهما الجغرافي من القوقاز. وتحظى قضايا المسلمين في القوقاز بتعاطف شعبي واسع في معظم دول العالم الإسلامي. تتناول هذه الدراسة منطقة القوقاز بالتحليل، محاولة استجلاء أسباب الأزمات الكامنة فيها والتي مازالت معظمها مرشحة للانفجار، من خلال الربط بين تراث العلاقات وكيفية تبلور المنطقة عبر تاريخها الطويل وصولاً إلى ما تمثله اليوم من تنوع عرقي وديني وثقافي. وكذلك الكيانات السياسية والإدارية الحالية في القوقاز والعوامل التي أدت إلى تشكلها كما هي عليه اليوم. والأزمات المختلفة التي شهدها هذا الإقليم، وتفاعلاتها محلياً وإقليمياً. كما ستسلط الدراسة الضوء على القوى الرئيسة التي تتنازع النفوذ في المنطقة ومدى التقاء واختلاف مصالحها، ومراكز النفوذ لكل من هذه القوى، ومدى نجاح كل منها في بسط نفوذها مقابل اللاعبين الآخرين، ومدى إسهام كل منها في احتواء أو تأجيج أو الإسهام في الأزمات التي عصفت وما زالت تعصف بها حتى يومنا الراهن. يتألف البحث من ثلاثة مباحث: هي المبحث الأول الموسوم (الواقع الديموغرافي والثروات) والذي يتألف بدوره من ثلاثة مطالب هي: المطلب الأول (الجغرافية والمناخ)

والمطلب الثاني (السكان) والمطلب الثالث (الثروات) أما المبحث الثاني الموسوم (الإطار التاريخي) فيقع في ثلاث مطالب هي: المطلب الأول (القوقاز منذ أقدم العصور حتى الاحتلال الروسي)، المطلب الثاني (الاحتلال الروسي للقوقاز ومقاومة المسلمين له)، المطلب الثالث (القوقاز في العهد السوفيتي) أما المبحث الثالث الموسوم (القوقاز منذ سقوط الاتحاد السوفيتي حتى الآن) فيقع في ثلاث مطالب هي المطلب الأول (الكيانات السياسية والإدارية في القوقاز بعد انهيار الاتحاد السوفيتي)، المطلب الثاني (ابرز الأزمات السياسية في القوقاز)، المطلب الثالث (التنافس الإقليمي في القوقاز).

المبحث الأول
الواقع الديموغرافي والثروات

سنتناول في هذا المبحث أبرز الحقائق الجغرافية والسكانية المتعلقة بالقوقاز من حيث الموقع والحدود الجغرافية والتضاريس الطبيعية والثروات، وتركيبة السكان وتنوعهم الثقافي.

المطلب الأول- الجغرافية والمناخ:

أولاً- الموقع:

القوقاز كلمة سنسكريتية[١] الأصل تعني الجبال البيضاء أو الجبال الثلجية[٢]. تمثل القوقاز حلقة وصل بين قارتي آسيا وأوربا، فهي برزخ عريض من الأرض الجبلية تقع بين البحر الأسود غربا وبحر قزوين شرقا، تقع روسيا الأوربية إلى الشمال منها وآسيا الصغرى، وأذربيجان الإيرانية إلى الجنوب منها. وتمتد سلسلة جبال القوقاز الكبرى، والتي يبلغ طولها (١٢٠٠ كم) ويتراوح عرضها بين (٤٨كم) و(٢٢٤كم) من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي عبر القوقاز مشكلة الحدود الطبيعية بين قارتي أوروبا وآسيا. فهي تمثل حاجزا واضح المعالم بين آسيا وأوربا تتاخم حدودها الشمالية نهري كيوما وكوبان في سهوب جنوب روسيا وحدودها الجنوبية هي هضبة أرمينيا[٣].

وترى روسيا في القوقاز موقعاً بالغ الأهمية بالنسبة إليها، لوقوعها على سواحل البحرين الأسود وقزوين اللذان يمثلان منفذي روسيا البحريين الوحيدين اللذان لا ينجمد أن

طوال العام، وقد تزايدت أهمية هذه المنطقة بالنسبة لروسيا بعد خسارتها لموانئها في القرم وأوكرانيا حيث باتت موانئ القوقاز هي منفذ روسيا الوحيد إلى البحر المتوسط وبالتالي إلى العالم من خلال البحر الأسود. وتزداد أهميتها بريا لقربها من أهم مراكز الطاقة في العالم والواقعة في المشرق العربي وإيران[٤]، فضلا عن وقوعها على بحر قزوين بثرواته النفطية الضخمة والتي تكاد تضاهي ثروات الخليج العربي[٥].

ثانيا– التضاريس والمناخ والنبات الطبيعي:

جبال القوقاز عظيمة الامتداد، كثيرة الارتفاع، شديدة الوعورة، صعبة الاجتياز، قليلة الممرات[٦]. ولا تقتصر القوقاز كما تعرف اليوم على السلسلة الجبلية رغم أنها ابرز معالمها، بل تشمل جزءا كبيرا من السهول الواقعة إلى الشمال من السلسلة الجبلية، فاسم القوقاز يطلق حاليا على جميع المناطق الواقعة إلى الجنوب من استرا خان وولاية الدون جنوب روسيا الاتحادية والى الشمال من الحدود التركية والإيرانية[٧]. وتقع القوقاز بين خطي عرض ٤٠– ٤٥ شمالا وبين خطي طول ٣٧– ٣٩ شرقي جرينتش وتبلغ مساحتها ٤٠٠ ألف كم٢[٨]. ومن حيث التضاريس فأن الجزء الشمالي من القوقاز والذي يطلق عليه اسم (القوقاز المتقدمة) هو امتداد طبيعي لسهول شرق أوربا العظيمة وله ظروف جغرافية ومناخية مماثلة لجنوب ووسط روسيا وأوكرانيا بما في ذلك شتائهما القاسي، ولكن غرب هذه المنطقة القريب من البحر الأسود يتمتع بمناخ أقل قسوة واكثر دفئا، كما أن التربة هناك غنية سمراء والرطوبة عالية مما يجعله من أهم مناطق إنتاج القمح في روسيا. أما سلسلة جبال القوقاز الرئيسة والمعروفة جغرافيا (بالقوقاز العظمى) فتتوسط الإقليم، وتعد من أكثر المناطق وعورة حيث تحتوي على عدد من سلاسل الجبال المتوازية تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي[٩]، ومعظم جبال هذه السلسلة شاهق الارتفاع حيث يزيد ارتفاع حوالي ٨٠٠ كم من جبال السلسلة، البالغ طولها ١٢٠٠كم، عن ٢٠٠٠م فوق مستوى سطح البحر، في حين تبلغ مساحة السلسلة الكلية (١٤٠٠٠٠كم٢) ويغطي الثلج كثيرا من قمم القوقاز طوال العام، حيث يبلغ مستوى الثلج الدائم في القوقاز ٢٦٦٦م، ويبلغ سمك الثلج في بعض الأماكن ٤٠٠م، تليه في المستوى المراعي الجبلية، وبدءا من ارتفاع ١٨٠٠مترا فوق مستوى سطح البحر توجد الغابات

الجبلية الكثيفة[١٠]. وأعلى قمة في جبال القوقاز هي قمة البروز التي تتوسط السلسلة الجبلية حيث يبلغ ارتفاعها ٥٦٣٠ مترا، وتعتبر أعلى قمم أوروبا[١١]. ومن أهم الجبال الموجودة ضمن هذه المنطقة كوشتان (٥٢١١)م، داغ تساو (٥١٥٩)م، أداي (٤٦٤٦)م، بشيز (٣٧٨٨)م، أشوبا (٣٦٥٠)م. ويحاذي الجزء الغربي من هذه السلسلة السواحل الشمالية للبحر الأسود بحيث لا يوجد بين مرتفعاتها الأمامية والبحر الأسود سوى سهل ساحلي ضيق[١٢]. وتزداد كثافة الغابات الجبلية كلما اتجهنا غربا بسبب الرطوبة العالية التي يهيئها البحر الأسود كما تقل كثافة الغابات ويرتفع خط الثلج الدائم كلما اتجهنا شرقا حتى يصل إلى ٣٩٠٠ مترا[١٣]. أما الجزء الثالث من القوقاز فيعرف بالقوقاز العابرة. وهي منطقة جبلية أخرى تقع إلى الجنوب من جبال القوقاز العظمى. وهي أقل ارتفاعا من القوقاز العظمى، ومع ذلك يزيد ارتفاعها في ثلثي مساحتها عن ٦٦٠مترا، وتتألف من جبال ملتفة وهضاب تتخللها أخاديد عميقة. وتصنع الجبال الرئيسة في الشمال حاجزا أمام الرياح المثلجة القادمة من سيبريا وروسيا، مما يجعل المناخ في هذه المنطقة دافئا وصالحا لزراعة العديد من محاصيل المناطق الدافئة كالشاي والتبغ[١٤].

المطلب الثاني- السكان:

تعد القوقاز من أكثر مناطق العالم من حيث التباين العرقي والتنوع الثقافي واللغوي والديني فقد تعرضت القوقاز خلال تاريخها الطويل لغزوات الكثير من الأقوام، مما ترك أثرا على تركيبتها السكانية وحولها إلى فسيفساء عرقية ودينية وثقافية[١٥].

أولاً- الشعوب:

يمكن تقسيم شعوب القوقاز من حيث أماكن سكناهم إلى:

أ- القوقازيون الشماليون ومنهم:

١- الشراكسة: ويقطنون الشمال الغربي والشمال الأوسط للقوقاز الشمالي.

٢- الاستين ويقطنون وسط القوقاز الشمالي[١٦].

٣- الاديغة: ومنهم قبائل الشابسوغ والقبردي والبجة دوغ والابزاخ وغيرهم وهم اثنتا عشرة قبيلة رئيسة.

٤-الشيشان الذين ينقسمون بدورهم إلى قسمين هما الشيشان والانغوش واللذين يقطنون في وسط القوقاز الشمالي.

٥-الوبيخ: وقد تعرضوا للإبادة على يد الروس.

٦-الابخاز: ومنهم الاباظة.

٧-الداغستانيون: ويقطنون في الشمال الشرقي للقوقاز الشمالي ومنهم الأوار[١٧].

٨-الافار: وهم شعب تركي الأصل يقطن منطقة افاريا شمال داغستان.

٩-اللزكيين.

١٠-الدراغيين.

١١-القوموق.

١٢-اللاك[١٨].

ب- القوقازيون الجنوبيون:

١-الاوسيتيين ويتواجدون في جمهوريتي أوسيتيا الشمالية واوسيتيا الجنوبية الواقعتان ضمن جمهورية جورجيا المستقلة.

٢-الكرج: ويشكلون معظم سكان جورجيا الحالية[١٩].

٣-الأرمن: وهم من أقدم شعوب القوقاز فالأرمن شعب من الشعوب الهند وأوربية عاش منذ القدم في الجزء الجنوبي الغربي من القوقاز[٢٠].

ثانيا – المجموعات العرقية:

يمكن أن نقسم شعوب القوقاز بحسب الأعراق التي ينتمون إليها إلى خمسة أعراق رئيسة هي:

١- العرق القوفازي الأصيل: ويضم الشيشان والشراكسة والانغوش وسكان إقليم أفاريا (الأفار) شمال غربي داغستان فضلا عن الجورجيين والأرمن.

٢- العرق التركي: والمتبقي من فترة سيطرة الأتراك سواء السلاجقة أو الأق قوينلو أو الدولة العثمانية ويتركزون في أذربيجان وداغستان كما يوجد في أرمينيا نسبة من الأتراك.

٣- العرق الإيراني: وينتشر في أذربيجان وشمال جورجيا وبعض مناطق داغستان وبعض أجزاء أرمينيا وفي أوسيتيا وهم من آثار فترة الاحتلال الفارسي للمنطقة.
٤- العرق المغولي: وهم بقايا الغزوات المغولية للقوقاز وأبرزهم قبائل النوغاي والقمق في داغستان كما توجد قلة من أصل مغولي في أذربيجان.
٥- العرق الآسيوي الغربي: كسكان شمال أرمينيا والبشاف والخسفور شمال جورجيا وبعض قبائل داغستان والانغوش[٢١].

رابعا- الأديان:

لا يقل تنوع الأديان والملل في القوقاز عن تنوع الأقوام واللغات، فهنالك في القوقاز المسلمون والمسيحيون واليهود. كما تتعدد المذاهب المنتشرة في القوقاز لكل من هذه الديانات وكالتالي:

١- المسلمون السنة، منهم الشيشان والشراكسة والداغستان وقبائل القمق والنوغاي وبعض سكان جمهورية ناخيتشيفان ذات الحكم الذاتي الواقعة بين أذربيجان وأرمينيا في جنوب القوقاز.
٢- المسلمون الشيعة، ويتركزون في جمهورية أذربيجان والذين تحولوا إلى المذهب الشيعي خلال فترة الصفويين.
٣- المسيحيون الأرثوذكس، حيث أن المذهب الأرثوذكسي هو السائد بين نصارى القوقاز، إذ يعتنقه كل من الجورجيين وسكان أوسيتيا الشمالية والجنوبية وقد كان الأوسيتيين الشماليين والجنوبيين يدينون بالإسلام. لكنهم تركوه واعتنقوا المسيحية بعد احتلال القياصرة لجورجيا حيث استغل القياصرة فقرهم المدقع وظروفهم القاسية لترغيبهم في اعتناق النصرانية مقابل مبالغ زهيدة[٢٢].
٤- المسيحيون الكاثوليك، ويتركزون في جمهورية أرمينيا، إذ يعتنق ٩٦% من سكانها الدين المسيحي على المذهب الكاثوليكي[٢٣].

المطلب الثالث- الثروات:

تتمتع القوقاز بثروات كبيرة زراعية كانت أم معدنية وقد زادت هذه الثروات من تمسك روسيا بالقوقاز، خاصة وأنها باتت أكبر مراكز إنتاج الطاقة فيها.

أولا- الزراعة والرعي:

تمتاز القوقاز بتربة شديدة الخصوبة ومياه وافرة ومناخ متنوع مما جعلها منطقة مهمة للإنتاج الزراعي ففي شمال غرب القوقاز التي تتمتع بمناخ معتدل نسبيا ورطوبة عالية بسبب تأثير البحر الأسود توفرت ظروف مثالية جعلت هذه المنطقة من أهم مناطق روسيا الاتحادية في إنتاج المحاصيل الزراعية المتنوعة. حيث تنتج هذه المنطقة القمح والذرة والأرز الذي يزرع في مستنقعات نهر الكوبان كما يزرع القطن وفول الصويا ونبات الخروع[٢٤]. أما في المناطق الشرقية الأقل جفافا كجمهوريتي الشيشان وداغستان فإن الأرض أكثر ملائمة للرعي حيث تربى الماشية والأغنام والخيل، ومع ذلك تزرع المحاصيل المختلفة في حوض نهر تيرك الفاصل بين الجمهوريتين[٢٥]، وتنتج الأخشاب من غابات القوقاز الهائلة والممتدة على طول السلسلة الجبلية خاصة في الأجزاء الغربية منها أما في جنوب القوقاز، والتي يطلق عليها أسم القوقاز العابرة والتي تتمتع بمناخ معتدل فتنتج محاصيل المناطق الحارة والمعتدلة كالشاي والبرتقال والتبغ والكروم[٢٦]. وتنتج جمهورية أذربيجان التي تقع ضمن هذه المنطقة القمح والقطن الذي يعد أهم محاصيلها، في حين تستثمر الأراضي القليلة الصالحة للزراعة في أرمينيا لزراعة الفواكه خاصة الأعناب والخضار والتبغ[٢٧]. أما في جورجيا فتحتل زراعة الكرمة ٢٧% من الأراضي الزراعية هناك ويليها الشاي من حيث الأهمية كما تربى الماشية[٢٨].

ثانياً- المعادن والصناعات:

تتمتع القوقاز بثروات معدنية كبيرة. فقد كانت القوقاز أهم مراكز إنتاج البترول في الاتحاد السوفيتي، حيث ينتج النفط من حقول باكو على بحر قزوين في جمهورية أذربيجان والتي تعد من أغنى حقول العالم[٢٩]، فقد كانت هذه الحقول تنتج نصف الطلب العالمي على البترول في الستينات إلا أن إنتاجها انخفض كثيراً ليصل إلى ثلاثة ملايين

طن سنويا بسبب طول فترة استنزافه حيث بدأ الإنتاج فيه منذ أواخر القرن التاسع عشر وكذلك بسبب قلة الاستثمارات وتخلف تقنيات الإنتاج السوفيتية عن نظائرها الغربية[٣٠]. ورغم أن الوضع القانوني لثروات بحر قزوين النفطية الهائلة والتي تتركز قبالة سواحل أذربيجان وكازاخستان مازال محل خلاف بين الدول الواقعة علية، فقد بادرت أذربيجان في العام ١٩٩٤من طرف واحد بتوقيع عقود مع شركات غربية، فيما سمي بصفقة القرن، للتنقيب عن النفط قرب السواحل الأذربيجانية، يتوقع أن تعيد لأذربيجان موقعها المتقدم بين منتجي النفط في العالم، وذلك رغم الاعتراضات الشديدة من قبل روسيا[٣١]. وليست أذربيجان المنتج الوحيد للنفط في القوقاز، فالبترول ينتج بكميات كبيرة في شمال القوقاز، إذ يوجد أكبر حقوله هناك في العاصمة الشيشانية كروزني والذي يمتد حتى شمال داغستان، وهو اكبر الحقول النفطية في روسيا الاتحادية وينتج مليوني طن من النفط سنويا[٣٢]. وينتج النفط كذلك في شمال غرب القوقاز بين كراسنودار ونوفوروسسك. ويوجد حقل مهم للغاز الطبيعي في ماختشكالا على بحر قزوين شمال شرق القوقاز[٣٣] كما تنتشر خامات الحديد والذهب والفضة والرخام في جبال أرمينيا. وتنتج خامات الحديد والكوبالت والبيريت والرخام في أذربيجان[٣٤]. كذلك توجد في القوقاز مراكز صناعية هامة، ففي غروزني عاصمة الشيشان تنتشر الصناعات البترولية كتكرير البترول، والصناعات البتروكيمياوية[٣٥]. وفي أرمينيا يوجد مفاعل نووي لإنتاج الطاقة الكهربائية ينتج طاقة كهربائية تفوق كل الطاقة التي تنتجها المحطات الكهرومائية فيها، كما يوجد في أرمينيا مصانع للسيارات والآلات الثقيلة والحواسيب[٣٦] وتزدهر الصناعات الخشبية والورقية في أبخازيا[٣٧].

المبحث الثاني
الإطار التاريخي

لفهم طبيعة التعقيد العرقي والديني والسياسي وتتبع الظروف التي قادت إليه متوصلين إلى جذور الأزمات التي تتفجر اليوم في القوقاز. رأت هذه الدراسة أن من الضروري أن نمر ضمن هذا المبحث، على بعض من أهم المحطات التاريخية التي شهدتها القوقاز عبر تاريخها الطويل.

المطلب الأول- القوقاز منذ أقدم العصور حتى الغزو الروسي:

أولاً: القوقاز حتى الفتح الإسلامي.

تعد القوقاز من أقدم مناطق النشاط الإنساني على وجه الأرض والكثيرون يعتبرونها مهد الجنس الأبيض[٣٨]، فقد نشأت منذ منتصف الألف الثاني ق.م مملكة قوية عرفت في كتابات الآشوريين (بمملكة اوراراتو)، حكمت جنوب القوقاز وشرق الأناضول وشمال غرب إيران[٣٩]، وقد نافست الإمبراطورية الآشورية في أوج عظمتها[٤٠]، ولكن الآشوريين تفوقوا عليها منذ عهد تجلاتفلاسر الثالث. وتابع سرجون الآشوري الضغط على المملكة الأرمنية، ملحقاً بها هزائم قاسية. ولكن الضربة القاضية أتتها من الشمال، عندما انحدرت قبائل الكميريون والاسكيشيون التي كانت تقطن شمال القوقاز وجنوب روسيا مدمرين معظم مدنها وكان ذلك في حدود الأعوام (٧١٥- ٧١٣) ق.م[٤١]. استمر الاسكيشيون والكميريون في توسعهم وتمكنوا من إخضاع الماذيين عام (٦٥٣ ق.م)[٤٢]. ثم ثار الماذيين عليهم وطردوهم إلى موطنهم شمال القوقاز. وفي العصور اللاحقة، خضعت القوقاز أو أجزاء منها للفرس الاخمينيين والإسكندر المقدوني ثم تنافستها فيما بعد الدولتين الرومانية والفرثية ثم البيزنطية والساسانية وكانت أرمينيا تشهد قيام دول مستقلة بين الحين والآخر مستغلة ضعف الدولتين الكبريين[٤٣]. وبقيت القوقاز إحدى ابرز نقاط التنافس بين الدولتين الكبيرتين واستمر الوضع فيها مضطربا حتى الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

ثانياً: انتشار الإسلام في بلاد القوقاز

بدأ انتشار الإسلام في بلاد القوقاز على يد الفاتحين العرب، منذ عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ففي العام ٢١ للهجرة فتحت أذربيجان. كما فتحت أجزاء من داغستان. في عهد الخليفة عثمان بن عفان عام ٢٢هـ (٦٤٣)[٤٤]. وقد أعفي أهل هذه المنطقة من الجزية رغم بقائهم على دينهم، لقاء تعهدهم بنصرة المسلمين[٤٥]، ولم يتوغل المسلمون شمالا لاصطدامهم بمقاومة شديدة من قبل يهود الخزر. لم يستقر الوضع للمسلمين في شمال القوقاز حيث كانوا في حرب مستمرة مع يهود الخزر طوال العصرين الأموي والعباسي[٤٦] تمكن البيزنطيون عام ٢٧٧هـ/٨٩٠م من السيطرة مجددا على كل

من أرمينيا وجورجيا غرب القوقاز[٤٧]. انتشر الإسلام انتشارا واسعا بين سكان أذربيجان وداغستان حتى أن الأقليات غير المسلمة اختفت من هناك بحلول القرن الخامس الهجري[٤٨]. وما لبثت جميع أقاليم القوقاز أن خضعت للمغول منذ أيام جنكيزخان[٤٩] وساهم المغول في نشر الإسلام في شمال القوقاز، بعد أن اعتنقوه في عهد الحاكم المغولي بركة خان[٥٠] وفي ١٣٩٤ خضعت القوقاز لغزوة مغولية جديدة على يد تيمورلنك (١٣٧٠- ١٤٠٥م)[٥١] الذي اشتهر بقسوته الشديدة، وترسخ الإسلام في القوقاز على يديه، فقد فتك تيمورلنك بالشعوب غير المسلمة التي كانت تعيش في القوقاز[٥٢]. بعد تيمورلنك تجزأت القوقاز إلى كيانات وممالك قبلية صغيرة، مما جعلها عرضة للتنافس بين جاريها القويين، الصفويون والعثمانيون[٥٣].

ثالثا: التنافس العثماني الإيراني الروسي على القوقاز.

في نهاية القرن الخامس عشر نشأت في كل من الأناضول وإيران دولتان إسلاميتان قويتان، هما الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وشرعتا في التنافس، وكانت القوقاز من ابرز ميادين التنافس بين الدولتين. تركز نشاط الدولة الصفوية في منطقتي أذربيجان وبحر قزوين، فيما تركز نشاط العثمانيين في شمال وغرب القوقاز. وتنافست الدولتان للسيطرة على جورجيا وأرمينيا[٥٤]. في سنة ١٥١٢م أخضع الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٠٢-١٥٢٤م) كرجستان (جورجيا)، ثم استولى العثمانيين على معظم القوقاز لفترة من الزمن، بعد انتصارهم في موقعة جالديران ١٥١٤[٥٥]. وفي ذات الوقت كانت الأمارة الروسية الفتية قد تمكنت منذ عهد ايفان الثالث (١٤٦٢-١٤٠٥م) من التخلص من سيطرة التتار وبدأت بالتوسع على حساب الإمارات التتارية المسلمة[٥٦] التي لم يتبق منها أوروبا الشرقية في عهد ايفان الرابع (الرهيب) سوى خانية القرم التي صمدت بمساعدة العثمانيين. تاخم الروس الحدود الشمالية للقوقاز منذ عهد إيفان الرهيب، ولكنهم لم يجرءوا على مهاجمتها خلال تلك الفترة لكي لا يستفزوا الدولتين الصفوية والعثمانية اللتان كانتا في أوج قوتهما[٥٧]. وفي سنة (١٥٧٨م) استولى العثمانيون على داغستان لفترة من الزمن، وحينما قوي شأن الدولة الصفوية في عهد الشاه عباس، أدى أمراء داغستان الجزية لها، كما أعاد الصفويين في عهده السيطرة سائر جنوب القوقاز[٥٨]. في مطلع القرن الثامن عشر، تمكن الملك الجورجي هراكليز من استعادة

استقلال جورجيا[٥٩] كما أصبحت العديد من قبائل القوقاز خارج السيطرة الفعلية للدولتين العثمانية والصفوية بسبب الضعف الذي اعتراهما.

المطلب الثاني- الاحتلال الروسي للقوقاز ومقاومة المسلمين له :

أولاً- الاحتلال الروسي للقوقاز:

لم يكن الاحتلال الروسي للقوقاز خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر سوى امتداد طبيعي للحرب الصليبية التي شنها قياصرة روسيا منذ ايفان الثالث ضد المسلمين. وقد كان للعداء التقليدي بين الروس والمسلمين مبررات موضوعية فقد أدى أمراء موسكو الجزية لخانات القبيلة الذهبية التتارية المسلمة مدة (٢٤٠) عاما، كما ناصبت روسيا العثمانيين العداء بسبب نجاحهم في إسقاط القسطنطينية قاعدة المسيحية الأرثوذكسية،التي كانت روسيا تعتنقها. وكذلك لحيلولة العثمانيين بين روسيا والوصول إلى المياه الدافئة للبحر الأسود. ولذلك صبت روسيا عدائها على الإسلام والشعوب الإسلامية التي حكمتها. ولم يجرؤ الروس على التدخل المباشر في أوضاع القوقاز حتى عهد القيصر بطرس الأكبر الذي تحولت روسيا في عهده إلى قوة أوربية يحسب حسابها[٦٠]. فقد أدرك بثاقب بصره عظم المكاسب التي ستنالها روسيا من خلال السيطرة على القوقاز، فاستغل الاضطرابات الداخلية التي سادت إيران فقام باحتلال معظم أجزاء القوقاز التابعة لإيران عام ١٧٢٢[٦١]. ولكن العثمانيون اعترضوا على استمرار التوسع الروسي على حساب إيران، مما اجبر الروس على التفاوض مع العثمانيين، واتفق الطرفان عام ١٧٢٤ على قسمة أراضي الدولة الصفوية في القوقاز، بحيث يحصل الروس على سواحل بحر قزوين والأجزاء الشرقية من شمال القوقاز. وما لبث بطرس أن توفي عام ١٧٢٥ وشهدت روسيا من بعده اضطرابات داخلية [٦٢] كما أدركت روسيا قوة إيران في عهد نادرشاه، الذي أخضع الفتن الداخلية في إيران، فاستجابت لمطلبه بسحب القوات الروسية من القوقاز دون قتال عام ١٨٣١[٦٣]. وفي عهد الإمبراطورة الروسية كاترين زحف الروس عام ١٧٦٩ على تخوم القوقاز الشمالية خلال حربهم مع العثمانيين (١٧٦٨- ١٧٧٤)، وحاولوا إخضاع الشيشان والداغستان، لكنهم ووجهوا بمقاومة عنيفة من سكان هاتين

المنطقتين، ردتهم على أعقابهم[٦٤]. وعلى الرغم من ذلك فإن انتصار الروس على الجبهات الأخرى، أجبر الدولة العثمانية على التخلي عن آزوف وشمال القوقاز، في معاهدة كتشك كينارجي[٦٥]. شهد مطلع القرن التاسع عشر تزايد قوة روسيا بشكل ملحوظ، حيث أصبحت قوة أوروبية عظمى يحسب لها حسابها بين الدول الكبرى[٦٦]. أتاحت جورجيا الفرصة للروس للتدخل في شؤون القوقاز،عندما طلبت الحماية الروسية في العام ١٧٨٣، بسبب الضغط الذي واجهته من الكيانات المسلمة في القوقاز. ولم تكتف روسيا بذلك فقامت في العام ١٨٠١ بضم جورجيا لحكمها المباشر[٦٧]. كما احتل الروس بين عامي ١٨٠٤- ١٨١٤ معظم مدن أرمينيا[٦٨]. وفي عام ١٨١١ شنت روسيا حربا جديدة ضد الدولة العثمانية استولت خلالها على جميع الأراضي العثمانية غرب القوقاز باستثناء قلعتي أنابا وبوتي، وفي السنة التالية شنوا حربا على إيران، أجبرت خلالها على التنازل للروس عن معظم ممتلكاتها في القوقاز. كما أخضع الروس عدة مناطق قوقازية مستقلة على ساحل البحر الأسود. وكانت آخر المحاولات الإيرانية لاسترجاع القوقاز هي محاولة ولي العهد الإيراني عباس ميرزا عام ١٨٢٤- ١٨٢٧، والتي انتهت بهزيمة مذلة للإيرانيين[٦٩].

ثانيا- المقاومة الإسلامية للاحتلال الروسي:

على الرغم من الهزائم التي ألحقتها روسيا بالدولتين العثمانية والصفوية إلا أنها عجزت عن فرض سيطرتها الفعلية على مناطق شمال وغرب القوقاز الجبلية بسبب المقاومة العنيفة التي أبداها سكان تلك المناطق للغزو الروسي. فقد قاوم الابخاز وشركس قوبان العليا الروس في غرب القوقاز، في حين تولى الشيشانيون والداغستانيون المقاومة في شرقها[٧٠].

١- ثورة الشيخ (منصور أشرمه) الشيشاني:

كانت اشرس مناطق المقاومة هي المنطقة الجبلية الشرقية في الشيشان داغستان. قاد المقاومة هناك الشيخ منصور الشيشاني، الذي رفع شعار الجهاد ضد الروس، ولقيت دعوته تجاوبا كبيرا من قبل شعوب القوقاز، واستطاع إلحاق الهزيمة بأحد جيوش الإمبراطورة الروسية كاترين مطلع العام ١٧٨٥ ولكن جيشا أضخم بقيادة الكولونيل ناجل

استطاع هزيمة الشيخ شامل في معركة تتارتوب في أيلول من نفس العام. انسحب الثوار إثرها إلى الجبال وشنوا حرب عصابات ضد القوات الروسية[٧١]. وحينما نشبت حرب القوقاز عام ١٧٨٧ بين تركيا وروسيا استنجدت القلاع التركية على سواحل البحر الأسود بالشيخ منصور، الذي تمكن بمساعدة الشراكسة من دحر جيشين روسيين، ولكن جيشا ثالثا ألجأهم إلى قلعة أنابا التركية، وصمد المدافعون رغم توالي النجدات الروسية. تكرر الهجوم الروسي على القلعتين العثمانيتين عامي ١٧٨٨- ١٧٨٩ ولكنهم دحروا عند أنابا وتكبدوا أربعة آلاف قتيل. وطوال هذه المدة حاول الروس دون جدوى التوغل في منطقتي الشيشان والشابزوغ[٧٢]. وفي العام ١٨٩١ عاد الروس وحاصروا قلعة أنابا فاستنجد المحاصرون بالشيخ منصور وأدت خيانة قائد الحامية التركية إلى دخول الروس إلى المدينة، إلا أن الشيخ منصور ورجاله من القبائل القوقازية قاتلوا إلى أن جرح الشيخ منصور فأسره الروس. وأرسلوه إلى أحد السجون الروسية، حيث مات عام ١٧٩٤[٧٣].

٢- الثورة المريدية:

بدأ النشاط العسكري للحركة المريدية في عهد القاضي الملا محمد غازي والذي هاجم القوات الروسية في داغستان والشيشان انطلاقا من قرية غمري في إقليم أفاريا غرب داغستان منذ عام ١٨٢٠[٧٤]. قام غازي عام ١٧٢٤ بهزيمة الروس في عدة معارك صغيرة، واستولى على خانية تاركي الموالية لهم، وحاصر قلعة فينزابنايا الروسية دون أن يتمكن من احتلالها. ودخل مدينة قزليار وغنم منها العديد من الغنائم. وفي العام ١٨٣٢ تدخل محمد غازي لمساعدة الشيشانيين الذين ثاروا على الروس عام ١٨٣١، هاجم غازي القوات الروسية في نارزان ولكنه اضطر للانسحاب. أرسل الروس جيشا كبيرا يقوده الجنرالين روزن وفلياماينوف لإخضاع ثورة القبائل شرق الشيشان. واجه الروس مقاومة عنيفة ولكنهم اتبعوا أسلوب الأرض المحروقة. وبعد معارك طاحنة نجحت الحملة في الوصول إلى غيرماتشوك قاعدة شيشان الجبال ولم يتمكنوا من إخضاعها إلا بعد قتل جميع المقاتلين الشيشان وإحراق المدينة. دمر الروس خلال هذه الحملة ٦١ قرية من قرى الشيشان بشكل كامل. في هذه الأثناء استدرج الملا محمد قوة من القوزاق[٧٥] وقضى عليها في الغابات، قرب نهر تيرك. بعد أن اخضع الروس الشيشان، لم يعد أمامهم سوى الحركة المريدية وزعيمها، وبالفعل هاجموا مقرها في غمري، وقاتل المريدون حتى

آخر رجل[٧٦]. بعد مقتل الملا محمد غازي اختار من تبقى من أعضاء الحركة المريدية حمزة بك زعيما لهم. إلا انه لم يكن جديرا بهذه الزعامة، وانتهى الأمر بقتله بعد عامين على يد أهالي خونزاح[٧٧].

٣- شامل الداغستاني يقود المقاومة ضد الروس:

بايع المريدون شامل إماما جديدا لهم، واتخذ شامل من مدينة أخولكو قاعدة له. في سنة ١٨٣٧ هاجم الروس الحركة المريدية في داغستان آملين تدميرها قبل استفحال خطرها، واستمرت مقاومة المريدين في الداغستان أربع سنوات[٧٨]. انتهت بسقوط اخولكو، مقر شامل في ٢٢ آب ١٨٣٩. لجأ شامل إلى المناطق الشيشانية الجبلية، ومن هناك شن حرب عصابات شملت الشيشان وامتدت إلى أجزاء من داغستان. حيث هوجمت الحاميات الروسية وقلاع القوزاق. وبعد أن انتشرت أخبار انتصارات ثورة الشيشان بقيادة شامل عمت الثورة معظم أنحاء القوقاز. وفي عام ١٨٤٢ فشل جيش من (١٠٠٠٠) مقاتل روسي في الوصول إلى فيدن دارغو عاصمة شامل في جبال الشيشان، بعد أن تمكن ألفا مقاتل شيشاني من هزيمته في الطريق إليها. وفي سنة ١٨٤٣ عمت الثورة معظم مناطق الشيشان وداغستان، بل وصلت إلى الأراضي القوقازية التي سقطت منذ عهد بطرس الأكبر كمناطق قبائل القوموق والقبارطاي. كما تلقى الروس كبرى هزائمهم في معركة دارغو الثانية، إذ انقض شامل على جيش روسي يقوده الكونت فورنستوف أثناء انسحابه من دارغو بعد إحراقها. وكبده ثلاثة أرباع جيشه البالغ عشرون ألف جندياً. كما فشل هجومان شنهما الروس ضد بلدة غرغبيل في داغستان. وفي نهاية عام ١٨٤٤هاجم الحاج مراد نائب شامل في داغستان، شورا قاعدة الروس في داغستان. وحينما نشبت حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦. استغلها شامل. ليتوسع في الأراضي الجورجية، فاستولى على وادي الالزان الخصب. وكان لعدم وجود تنسيق بين القوات الروسية وسكان القوقاز، اعظم الأثر في هزيمة العثمانيين في القوقاز، رغم انتصارهم في الحرب. بعد حرب القرم، قرر القيصر الكسندر الثاني. تركيز جهوده لإخضاع القوقاز ولذلك فقد عين الأمير باریاتینسکي قائداً عاما للجيوش الروسية في القوقاز[٧٩]، والتي عززت لتبلغ ٣٠٠٠٠٠ مقاتل[٨٠]. ركز باریاتنسكي على إخضاع الشيشان معقل شامل الرئيس، ففي العام ١٨٥٦ أحرقت المئات القرى وعم الخراب بلاد الشيشان، كما قطعت الغابات الكثيفة، ومدت

الطرق العسكرية، وفي ذات الوقت غير القائد الروسي الجديدة طريقة التعامل مع القرى والمدن والمدنيين وحتى المقاتلين الشيشانيين المستسلمين لتصبح اكثر إنسانية، بحيث اقتنع الكثيرون بإمكانية العيش بسلام تحت سلطان الروس. وفيما كانت مواقع شامل في الشيشان تتهاوى خانه معظم الأمراء الداغستانيون. وفي العام ١٨٥٨ تمكن الروس من الاستيلاء على وادي نهر الارغون. واستمر الروس في التضييق على شامل حتى اضطر للانسحاب إلى غونيب في داغستان. ولم يتبق مع شامل في غونيب الحصينة والمحاطة بالجبال سوى أربعمائة مقاتل وبعد قتال شرس انتهت معركة غونيب باستسلام شامل للروس عام ١٨٥٩[٨١]. استقبل شامل بحفاوة في بلاط القيصر الروسي. وبعد عدة سنوات منح الإذن للحج حيث توفي ودفن في المدينة المنورة[٨٢] استمرت ثورات الشركس التي بدأت منذ عهد كاترين، عدة سنوات بعد ذلك، واخرج علي بن حانتوخو الروس من إقليم الشابزوخ عام ١٨٦٠، ولم يخضع الشركس بشكل نهائي حتى العام ١٨٦٥[٨٣]، كما أن قادة شامل الميدانيين الناجين وأبرزهم بويسغر، شنوا حرب عصابات من جبال الشيشان استمرت من١٨٦١- ١٨٦٤[٨٤]. كانت حرب القوقاز من أقسى الحروب الاستعمارية، إذ تكبد الروس فيها مليونا ونصف المليون من القتلى كما أبادوا شعوبا قوقازية بأكملها[٨٥]. ومما يذكرعن حرب القوقاز، المشاركة المهمة لشعوب القوقاز النصرانية كالجورجيين والأرمن والاوسيت في الجيش الروسي.

ثالثا- مجازر الاحتلال الروسي في القوقاز:

منذ مطلع القرن التاسع عشر بدأ الروس يطبقون سياسة الأرض المحروقة في القوقاز، ففي الفترة ما بين ١٨٠٤-١٨١٠ أحرقت ودمرت اكثر من ٢٠٠ بلدة وقرية شركسية على نهر القوبان وأصبح سكانها بين قتيل وشريد. وفي سنة ١٨٢٢ احرق الروس١٧ بلدة و١١٩ قرية في المنطقة ذاتها[٨٦]. وفي الشيشان دمرت القوات الروسية ٨٠ قرية عام ١٨٠٤. وفي عام ١٨١٠ دمروا ١٠٠ قرية شيشانية و١١٠ مسجد[٨٧]. يقول ضابط روسي، مبررا وحشية الجيش الروسي في كتابه (نبذة عن احتلال القوقاز) «لم نستطع التوقف عما بدأناه في احتلال القوقاز. لأن الشراكسة لم يودوا الخضوع لنا. وكان يجب القضاء على نصف الشراكسة لكي يتوقف النصف الآخر عن الحرب». لقد

تقلص عدد الشيشان في الفترة الواقعة بين عامي ١٨٤٧- ١٨٥٠ إلى النصف أي إلى ٤٠٠ ألف نسمة فقط ولم يبق عام ١٦٦٠ سوى ربع سكان البلاد أما الشابزوغ فقد تقلص عددهم من ٧٠٠ ألف نسمة عام ١٧٧٩ إلى ١٥٠ ألفاً عام ١٨٣١ أمام هذه المجازر الدموية التي تعرض لها المسلمون في القوقاز، اضطر (١,٥٠٠,٠٠٠) منهم إلى الهجرة إلى تركيا عبر البحر الأسود بعد أن دمرت قراهم وقد غرق منهم (٣٠٠,٠٠٠) إنسان، ومات آلاف المهاجرين القوقازيين، حينما وصلوا إلى تركيا في المعسكرات التي أقيمت لهم في العراء في الشتاء القاسي لشمال تركيا من البرد والجوع حيث لم تستطع الحكومة العثمانية، توفير المواد الغذائية لهذا الكم الهائل من المهاجرين(٨٨).

رابعا- الحكم الروسي للقوقاز في العهد القيصري:

بعد أن احتل الروس القوقاز باشروا باضطهاد المسلمين من سكانها مستعملين شتى الوسائل لإجبارهم على التنصر وترك ديانتهم باستغلال فقرهم وعوزهم، كما استهدف الروس علماء الدين المسلمين بالإعدام والسجن والنفي، وقاموا بنهب أراضي المسلمين ونفيهم وتوطين الروس بدلا منهم. ففي عهد كاترين تمت اكبر حملات المصادرة، ووزعت أراضي المسلمين على النبلاء الروس. وقد حاول الروس منذ عهد ايفان الرابع إغراء المسلمين بترك دينهم عن طريق إعفاء المرتدين عن الإسلام من الضرائب والخدمة العسكرية، وتقديم المكافئات المالية للمرتدين(٨٩). أما في عهد نيقولا الأول ١٨٦٥ فقد منع المسلمون من بناء المساجد، وأعدم كل من اتهم بالدعوة إلى الإسلام وسنت قوانين لإعدام كل من يرتد عن المسيحية الأرثوذكسية، كما صودرت المزيد من الأراضي من المسلمين. وكان هدف الحكام الروس، هو صهر العناصر الإسلامية في بوتقة السلاف وتضييع هويتهم الدينية، ولكن حدث العكس، إذ أزداد تمسك المسلمين بثقافتهم بل إن الإسلام بدأ يشق طريقه بين السلاف(٩٠). ولم تقف شعوب القوقاز المسلمة مكتوفة الأيدي ففي الشيشان ظهر العديد من القادة الدينيين وتولوا قيادة المقاومة هناك من أمثال (بشير الكوميكي) و(علي خان الكوميكي) وكليهما قبض عليهما الروس ونفوهما إلى سيبيريا. خلفهما (دُني أرسانوف) الذي أحرز على الروس العديد من الانتصارات وقاد المقاومة حتى استشهاده سنة ١٩١٧(٩١).

المطلب الثالث- القوقاز في العهد السوفيتي:

عند قيام الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي في عام ١٩١٧ أصدر لينين زعيم الثورة نداءا إلى الشعوب المسلمة في روسيا جاء فيه «نعلن أن عاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية مصونة... ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة»[٩٢]. استقبل المسلمون في القوقاز هذا البيان، بالترحيب المنطلق من كراهيتهم المتوارثة للحكم القيصري[٩٣]. فعقدت شعوب شمال القوقاز مؤتمرا أعلنت فيه قيام جمهورية اتحاد شمال القوقاز المستقلة[٩٤] وتولى قيادة الثورة ضد بقايا القوات القيصرية والسوفييت على السواء (نجم الدين غوتسو) ابرز شيوخ الطريقة النقشبندية (المريدين) آنذاك[٩٥]. في حين قاتل بعض المسلمين إلى جانب الجيش الأحمر ضد قوات دينكين الذي تولى قيادة الثورة البيضاء[٩٦] واصدر لينين في ٢٧/ ١١/ ١٩١٧ مرسوم التحرير الذي أعلن فيه أن «جميع الأراضي والغابات التي أعلن عنها ملكا للحكومة القيصرية أثناء غزو القوقاز، سترد إلى الشعوب التي أخذت منها» وبعد انتصار الجيش الأحمر استقبله مسلمو القوقاز بمظاهر الفرح والتأييد الشعبي متطلعين إلى تنفيذ وعود لينيين بمنحهم الاستقلال[٩٧].

أولا- عهد لينين:

ما أن نجح السوفييت في القضاء على قوات دينكين، حتى تنكروا لوعودهم باستقلال القوقاز وبدلا من ذلك انشئوا عام ١٩٢٠ جمهورية سوفيتية ذات حكم ذاتي في شمال القوقاز أسموها (الجمهورية الجبلية السوفييتية الاشتراكية) ويلاحظ على هذا الاسم تنكره للهوية الدينية والثقافية لشمال القوقاز. كما انشئوا جمهوريات ذات حكم ذاتي في كل من أذربيجان وجورجيا وأرمينيا. وفي عام ١٩٢٠ نظم شيوخ الدين في داغستان ثورة كبيرة ضد الشيوعيين عمت شمال القوقاز، استمرت عامين. وسرعان ما قام لينين بإلغاء الجمهورية الجبلية عام ١٩٢٢ وتفتيتها إلى كيانات صغيرة تتبع روسيا وجورجيا، مباشرة[٩٨]. ومنذ ذلك الحين بدأ الشيوعيون حملة من الدعاية المضادة ضد الأديان وخاصة الإسلام الذي اعتبروه أخطر الأديان. فخلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢١- ١٩٢٤، لم يهاجموا الإسلام بصورة مباشرة، مستفيدين من نصائح بعض أنصار الشيوعية مسلمي الأصل من أمثال سلطان غالاييف التتري الأصل والذي أوصى بتجنب الحط من

قدر الدين الإسلامي والدعاية المباشرة للإلحاد في المناطق الإسلامية، وقال باتباع سياسة النفس الطويل، لكي لا تثير مقاومة شعبية بين المسلمين المتمسكين بدينهم بشدة. وبالفعل حاول الشيوعيون خلال هذه الفترة غرس أفكارهم بين المسلمين بحذر ودون التعرض لمعتقداتهم.

ثانيا- العهد الستاليني:

منذ أن تولى ستالين ذي الأصل الجورجي السلطة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٤، بدأ بتصعيد الموقف ضد المسلمين خاصة في القوقاز، ففي الفترة بين ١٩٢٤-١٩٢٨ بدأ الشيوعيون بمهاجمة بعض الممارسات الإسلامية دون التعرض للإسلام نفسه كالتركيز على ممارسات شيعة أذربيجان في يوم عاشوراء، ونعت رجال الدين بطفيليات المجتمع[٩٩]. كما ألغيت المحاكم الشرعية. وكانت عملية تمزيق الكيانات الإسلامية إلى وحدات صغيرة ومنع قيام أي وحدة بينها، تواكب الحرب الدعائية التي نظمتها الشيوعية ضد الإسلام. كما سلخ الروس مساحات واسعة من شمال القوقاز المسلمة وألحقوها بولايتي كراسنودار وستافروبول الروسيتين، كإقليم الشابسوغ. وشجعوا هجرة الروس إليها[١٠٠]. بعد العام ١٩٢٨ بدأ الشيوعيون حملتهم المباشرة على الإسلام، إذ أغلقت خلال هذه الحملة معظم المساجد حيث هدم بعضها وتحول بعضها الآخر إلى مستودعات أو نواد للهو أو إسطبلات للخيل فمن أصل ٢٦٠٠٠ جامع في روسيا عام ١٩١٢ لم يتبق فيها عام ١٩٤١ سوى ١٠٠٠ جامع. ومنذ عام ١٩٤٣ أغلقت جميع المساجد في جمهورية الشيشان والأنغوش حتى العام ١٩٧٨، حيث افتتح مسجدان[١٠١]. بعد سنة ١٩٣١ اعتبر علماء الدين المسلمين وكل المسلمين المتحمسين جواسيس لألمانيا واليابان ومنعت السلطات السوفيتية الحج وأداء الزكاة وهاجمت صيام رمضان[١٠٢]. غير أن معاناة المسلمين في القوقاز بلغت ذروتها إبان حملة التطهير، ففي عام ١٩٣٧ شن ستالين اكبر حملة ضد المسلمين. ففي الشيشان اعدم رئيس الإدارة السوفيتية للمنطقة غورتشاخانوف وعدد كبير من رفاقه بتهمة التواطؤ مع العدو الطبقي كما زج بـ(١٢٠٠٠٠) شيشاني في سجون ومعتقلات النظام الشيوعي، حيث أعدم منهم ٣٠٠٠ شخص[١٠٣]. في العام ١٩٢٩ قام

المسلمون في الشيشان وانجوشيا بثورة أخمدها ستالين بقسوة بالغة. وفي عام ١٩٣٩ نشبت ثورة أخرى في بلاد الشيشان والانكوش لم يتم إخمادها حتى عام ١٩٤٠[١٠٤].

ثالثا- مأساة التهجير:

وقعت كبرى محن الشعوب المسلمة في القوقاز عام ١٩٤٤ حينما أقدم ستالين على ترحيل شعوب بأكملها إلى سيبيريا وكازاخستان بحجة تعاونهم مع النازيين أثناء الغزو الألماني لروسيا، إذ هجرت شعوب الشيشان والانكوش والكباردين والبلكار وقسمت أراضي الشيشان والانكوش بين الجمهوريات المجاورة[١٠٥]. ففي ليلة ٢٣ شباط من عام ١٩٤٤، تمت دعوة كل الذكور من أبناء الشعب الشيشاني للتجمع في كل قرى ومدن الشيشان بحجة الاحتفال بيوم الجيش السوفيتي، وفيما كان الشيشانيون عزلا ومحاطون بالجنود السوفيت تم إخبارهم بأنهم أعداء الشعب، وانهم سوف ينفون إلى سيبيريا وكازاخستان وتم ترحيلهم على الفور وفي الصباح التالي أعطت القوات السوفيتية النساء والأطفال مدة ٣٠ دقيقة للتجمع ليقادوا إلى المنفى ولم يسمح لهم بأخذ شيْ من أغراضهم إلا بقدر ما يمكنهم حمله، ونهب الجنود الروس الأموال والأثاث والمقتنيات الثمينة والمنازل، أما المرضى وكبار السن فقد أطلقت عليهم النار لعدم قدرتهم على المسير. ففي قرية خيباخ وحدها قتل الجنود الروس ٧٠٠ من العجزة والمرضى والأطفال[١٠٦]. وفي خلال السنة الأولى للنفي توفي حوالي ٣٠٠٠٠٠ شيشاني هم نصف شعب الشيشان آنذاك بسبب الأوبئة والبرد والجوع.

رابعا- من عهد خروتشيف حتى سقوط الاتحاد السوفيتي:

إستمرت محنة الشعب الشيشاني في المنفى حتى عام ١٩٥٧ عندما انتقد خروتشيف الذي أعقب ستالين في رئاسة الاتحاد السوفيتي، تهجير شعوب بأكملها في العهد الستاليني، بجريرة أفراد قلائل تعاونوا مع العدو. وأمر بإعادة هذه الشعوب إلى بلدانها الأصلية[١٠٧]. ومع ذلك فقد بلغت الحملات الدعائية المعادية للإسلام ذروتها في عهد خروتشيف ففي الفترة من ١٩٥٤- ١٩٦٤ نشر في الاتحاد السوفيتي ٩٢٠ كتابا تهاجم الإسلام. كما أغلقت المساجد القليلة التي بقيت مفتوحة حتى ذلك الحين[١٠٨]،

واستمر الاضطهاد الفكري والثقافي للمسلمين في القوقاز وعموم الاتحاد السوفيتي حتى انهياره عام ١٩٩١.

المبحث الثالث
القوقاز منذ انهيار الاتحاد السوفيتي حتى الآن

طوال عهد الإمبراطورية الروسية، وطوال سبعة عقود من عمر الاتحاد السوفيتي قبل ذلك كانت نسبة الخمسين بالمائة من غير الروس في الإمبراطورية السوفيتية خاصة سكان القوقاز من مسلمين ومسيحيين، ترفض سيطرة موسكو وتنظر إلى السلطة الروسية بوصفها شكلا من أشكال السيطرة الإمبريالية الأجنبية يمارسها شعب، يرونه دونهم ثقافةً وحضارةً. نتيجة لذلك وبسبب الضغوط الاقتصادية والاجتماعية، فقد انهار الاتحاد السوفيتي من الداخل وتجزأ إلى شظايا[١٠٩]. وما أن أتيحت الفرصة لشعوب الاتحاد السوفيتي للتعبير عن نفسها وتقرير مصيرها حتى اختار، معظمها الاستقلال والسيادة، وإن كانت الظروف الاقتصادية والسياسية قد فرضت على بعضها البقاء ضمن ما عرف برابطة الدول المستقلة[١١٠]. وقد اختارت جمهوريتان من جمهوريات القوقاز السوفيتية الثلاث هما أذربيجان وجورجيا الاستقلال التام عن الاتحاد الروسي ورفضت الانضواء تحت رابطة الدول المستقلة التي تتزعمها روسيا.

المطلب الأول – الكيانات السياسية والإدارية في القوقاز بعد انهيار الاتحاد السوفيتي:

إن الخريطة السياسية الحالية في منطقة القوقاز هي انعكاس للخريطة الاثنية السائدة في المنطقة وبالذات من الناحية الدينية، وقد أثرت في هذه الخريطة، أحداث عديدة خاصة خلال القرن العشرين، أهمها المحاولات والإجراءات التي بذلت خلال العهد السوفيتي لتغيير التركيبة الاثنية دينيا وعرقيا، خاصة في عهد ستالين، والتي هدفت إلى تعديل الوضع السكاني والسياسي لبعض مناطق القوقاز، ويليها انهيار الاتحاد السوفيتي، وما ترتب عليه من بزوغ الحركات القومية المطالبة باستقلال الشعوب عن الاتحاد السوفيتي. وقد أعقب انهيار الاتحاد السوفيتي نشوء ثلاث جمهوريات مستقلة كليا في

القوقاز اعترفت روسيا الاتحادية التي خلفت الاتحاد السوفيتي باستقلالها فضلا، عن جمهوريات ضمن الاتحاد الروسي بدأت تكافح من اجل الاستقلال التام، وأخرى من اجل مزيد من اللامركزية.

أولاً- الجمهوريات المستقلة:

١- **جمهورية أذربيجان** وهي جمهورية أذربيجان السوفيتية السابقة.

وكانت أولى جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية استقلالا حيث أعلن البرلمان الاذري استقلال هذه الجمهورية عن الاتحاد السوفيتي في ٣٠ /٨/١٩٩١[١١١]. تقع جمهورية أذربيجان جنوب شرقي منطقة القوقاز بين جبال القوقاز وبحر قزوين، وتحدها من الشمال جهورية داغستان الروسية ذات الحكم الذاتي وجورجيا ومن الجنوب إيران ومن الشرق بحر قزوين ومن الغرب أرمينيا تبلغ مساحتها (٨٦٨٠٠) كم٢[١١٢]، وعدد سكانها نحو سبعة ملايين نسمة (٧٨%) منهم أذريون و(٨%) روس و(٨%) أرمن.

٢- **جمهورية أرمينيا**. هي جمهورية أرمينيا الشرقية السوفيتية سابقا[١١٤]، استقلت عن الاتحاد السوفيتي في ٢١ أيلول من عام ١٩٩١. تقع أرمينيا جنوب غرب القوقاز. يحدها من الشمال جورجيا، ومن الجنوب والجنوب الشرقي، كل من إيران وجمهورية ناختشيفان الروسية ذات الحكم الذاتي، كما يحدها من الشرق أذربيجان ومن الغرب تركيا وهي دولة داخلية لا تمتلك موطئ قدم بحري، رغم قربها من البحر الأسود إذ تفصل بينها وبينه كل من جورجيا وتركيا. تبلغ مساحة أرمينيا (٢٩٨٠٠) كم٢ باستثناء إقليم قارباخ المتنازع عليه مع أذربيجان. يبلغ تعداد سكان أرمينيا (٣٧٠٠٠٠٠) نسمة وتبلغ نسبة الأرمن بين السكان (٩٦%)، كما أن ٩٠% من السكان هم من الكاثوليك مما يجعلها من أكثر دول العالم تجانسا من الناحية القومية والدينية[١١٥].

٣- **جمهورية جورجيا**[١١٦]. تقع جمهورية جورجيا وسط القوقاز، وتتمتع بحدود طبيعية منيعة من الشمال والجنوب حيث تحيط بها الجبال العالية، ومن الغرب حيث تمتلك إطلالة جيدة على البحر الأسود، لكن حدودها الشرقية أكثر سهولة. يحدها كل من روسيا من الشمال والشمال الشرقي (كل من جمهوريات داغستان والشيشان وأوسيتيا الشمالية وكباردينو بلكاريا وشركسيا) وأذربيجان من الجنوب الشرقي وأرمينيا من الجنوب وتركيا من الجنوب الغربي والبحر الأسود من الغرب. تبلغ مساحتها (٦٩٧٠٠) كم٢. يبلغ عدد

سكان جورجيا (٦٥٠٠٠٠٠) نسمة. عاصمتها تفليسي (تفليس) تبلغ نسبة الجورجيين بين السكان ٦٩% والأرمن ٩% الروس ٨% والأذريين ٥,١%. يعتنق الجورجيون المسيحية الأرثوذكسية. وتوجد ضمن جورجيا ثلاث مناطق ذات حكم ذاتي هي (أبخازيا وأدجاريا وأوسيتيا الجنوبية)[١١٧]. أما الكيانات السياسية الأخرى في القوقاز فلم تعترف روسيا الاتحادية باستقلالها التام واعتبرتها جمهوريات ذات حكم ذاتي ضمن الاتحاد الروسي رغم أن بعضها كالشيشان رفضت التسلط الروسي وخاضت حروب تحرير واسعة النطاق.

ثانيا- الكيانات السياسية ضمن الاتحاد الروسي:

١- **كباردیا بلكاريا**- هي إحدى جمهوريات شمال القوقاز، يحدها من الشرق أوسيتيا الشمالية ومن الغرب قرتشاي الشركسية ومن الشمال روسيا ومن الجنوب جورجيا، وغالبية سكانها من المسلمين حيث تبلغ نسبتهم ٦٠% من سكانها.

٢- **قرتشاي الشركية (شركسيا)**- يحدها من الشمال إقليم اتسافربول الروسي ومن الجنوب جورجيا ومن الشرق كباردیا بلكاريا ومن الغرب الاديغة، عاصمتها شركسك، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٠% من السكان.

٣- **الاديغة (الاديجة)**- تحدها من الشرق قرتشاي الشركسية ومن الغرب والجنوب البحر الأسود، ومن الجنوب الشرقي جورجيا، ومن الشمال والشمال الشرقي باقي أقاليم روسيا، عاصمتها ميكوب وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٠% من السكان.

٤- **أوسيتيا الشمالية**- تحدها من الشرق كل من جمهوريتي الشيشان والانغوش ومن الغرب كبادريا ومن الشمال روسيا ومن الجنوب جورجيا، عاصمتها (أردجونيكيزي) (١١٨)، تبلغ مساحتها ثمانية آلاف كلم٢،ويبلغ عدد سكانها نحو ٦٥٠ الف نسمة منهم ٦٦% أوسيتيون و٢٢% روس و٥% جورجيون، ومعظم الاوسيتيون نصارى أرثوذكسيين[١١٩].

٥- **جمهورية أنغوشيا**- كانت إنغوشيا قبل الحرب العالمية الثانية جمهورية ذات حكم ذاتي ولكن ستالين قسمها بين جمهوريتي الشيشان واوسيتيا الشمالية. وبعد سقوط الاتحاد

السوفيتي أعلن الانغوش استقلالهم، ويبلغ عدد سكان انغوشيا (٢٣٠) الفا جميعهم من الانغوش ويدينون بالإسلام[١٢٠].

٦- **جمهورية داغستان**- وتحدها من الشمال جمهورية كلميكيا الروسية ومن الجنوب أذربيجان ومن الغرب البحر الأسود ومن الشرق كل من الشيشان وانغوشيا. عاصمتها محج قلعة. ويبلغ عدد سكانها (١,٦٢٧,٠٠٠) نسمة معظمهم من المسلمين، إذ تبلغ نسبتهم ٨٥,٣% من مجموع السكان. أما من حيث التجانس القومي فإنها تتمتع بنوع من التجانس النسبي اكثر من بقية جمهوريات شمال القوقاز إذ تبلغ نسبة العنصر الداغستاني ٧٨% من مجموع السكان، يليهم الروس ونسبتهم ١١،٦%[١٢١].

٧- **جمهورية الشيشان أو (أتشكيريا الشيشانية)**- تقع جمهورية الشيشان في القسم الشمالي الشرقي من جبال القوقاز العظمى يحدها من الشرق جمهورية داغستان ومن الغرب جمهورية أوسيتيا الشمالية ومن الشمال منطقة ستافروبول الروسية ومن الجنوب جمهورية جورجيا. يخترقها نهر تيرك الذي يعد من أهم أنهار القوقاز مما جعلها تشتهر بالخصوبة ووفرة الزراعات فضلا عن كثافة غاباتها[١٢٢]. وهذه هي الجمهورية الوحيدة من جمهوريات شمال القوقاز المتمتعة بحكم محلي في إطار روسيا الاتحادية التي أعلنت استقلالها من طرف واحد في السابع والعشرين من أيلول عام، ١٩٩١ ولم تنجح روسيا في إعادة فرض سيطرتها عليها عام ١٩٩٩، إلا بعد حربين طاحنتين خاضتهما ضد الحركة الإسلامية الانفصالية في الشيشان، تكبدت خلالهما القوات الروسية خسائر فادحة، ومازال الوضع حتى ألان غير مستقر للروس في جمهورية الشيشان. تبلغ مساحة الشيشان (١٩,٣) ألف كم٢ عاصمتها غروزني[١٢٣]. يبلغ عدد سكان الشيشان حسب إحصاء عام ١٩٩٠ (١,٢٨٩,٧٠٠) معظمهم من الشيشان، يليهم الروس الذين تناقص عددهم من (٤٠٠٠٠٠) في أواخر الثمانينات إلى (٢٩٤٠٠٠) عام ١٩٩٠ و(١٦٤٠٠٠) من الانغوش، كما يوجد من بين السكان القليل من الأوكرانيين والأرمن وتبلغ نسبة المسلمين في الشيشان ٧٤% من مجموع السكان[١٢٤].

٨- **جمهورية ناختشيفان**- وهي جمهورية ذات حكم ذاتي تقع إلى الجنوب الغربي من أذربيجان وتحدها تركيا من الغرب وإيران من الجنوب ورغم أن الاذريين يشكلون

نسبة تزيد على ٩٥% من مجموع السكان إلا أن هذه الجمهورية فضلت البقاء ضمن الاتحاد الروسي، عقب انهيار الاتحاد السوفيتي ولم تنظم إلى أذربيجان ومعظم سكانها هم من المسلمين الشيعة(١٢٥).

كما توجد أيضا ثلاث جمهوريات ذات حكم ذاتي ضمن جمهورية جورجيا هي:

١- **جمهورية أبخازيا**- وهي جمهورية ذات حكم ذاتي في إطار جوريا ويقاتل الابخاز منذ عام ١٩٩٢ لنيل الاستقلال التام عن جورجيا. تبلغ مساحة ابخازيا (٨,٦٠٠) كم٢ وعاصمتها سوخومي (١٣١٠٠٠) نسمة. يحدها من الشمال قرتشاى الشركسية ومن الجنوب والجنوب الشرقي جورجيا ومن الغرب البحر الأسود، عدد السكان يقدر بـ(٤٥٦,٠٠٠) نسمة نسبة الابخاز منهم ٤٤% والروس ١٧%، والإغريق ١٦% والأرمن ٩% والاستونيين ٨%.

٢- **جمهورية أدجاريا**- تلبغ مساحتها (٣٠٠٠) كم٢، تقع شمال غربي جورجيا تحدها من الجنوب تركيا ومن الغرب البحر الأسود أما من الشرق والشمال فتحيط بها جورجيا. يبلغ سكانها نحو (٤٠٠,٠٠٠) نسمة ٤٠% منهم أبخاز و٢٩% جورجيون والباقي من أقليات مختلفة. عاصمتها باتومي (١٤٥,٠٠٠).

٣- **جمهورية أوسيتيا الجنوبية**- وقد فصلت هذه الجمهورية عن جمهورية اوسيتيا وضمت إلى جورجيا في عهد ستالين. حاولت هذه الجمهورية منذ مطلع التسعينات الحصول على الاستقلال التام عن جورجيا وما تزال تشكل محورا لازمة متجددة كثيرا ما استدعت التدخل الروسي.

المطلب الثاني- ابرز الأزمات السياسية في القوقاز:

لم يكن الوضع الذي نشأ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في القوقاز واستقلال الجمهوريات القوقازية الثلاث عن الاتحاد السوفيتي نهاية لمشكلاتها، بل كان بداية لمشكلات مختلفة في نوعها ودرجتها(١٢٦) إذ تعتمد دول القوقاز الثلاث المستقلة وكذلك جمهوريات شمال القوقاز الواقعة ضمن الاتحاد الروسي على قبائل أو شعوب تاريخية، ونتيجة لذلك فأن الاتجاهات القومية فيها تكاد تكون سائدة أو قوية، ولذلك فإن الأزمات أو

النزاعات الأثنية فيها، تهدد استقرارها السياسي[١٢٧]. لقد شهدت القوقاز منذ انهيار الاتحاد السوفيتي العديد من الأزمات معظمها مازالت غير محسومة ومرشحة للتفاقم سنتناول أبرزها في هذا الباب.

أولاً- (الازمة الشيشانية)- لعل من أخطر وأهم الأزمات التي شهدتها القوقاز وأكثرها تفجرا هي الأزمة الشيشانية، فقد عادت الشيشان إلى سابق عهدها رافظة للوجود الروسي بأعنف الوسائل. رغم كل ما قاساه الشيشانيون من ويلات ومآسي ومحاولات للاحتواء وطمس الهوية. فما إن لاحت نهاية الاتحاد السوفيتي حتى عادت هذه الطموحات الكامنة إلى التأجج.

استقلال الشيشان: في ٢٥ تشرين الأول من عام ١٩٩٠ عقد المؤتمر القومي الشعبي للشيشان والانجوش وأعلن الاستقلال[١٢٨]، وفي ١٩٩١/٣/٧ تأسس المؤتمر الوطني العام للشعب الشيشاني وتولى زعامته الجنرال السوفيتي المتقاعد جوهر دودابيف، في ٢٧ تشرين الأول انتخب دودابيف رئيسا لجمهورية اتشكيريا الشيشانية، في انتخابات تم الإشراف عليها دولياً[١٢٩]، وأعلن الاستقلال التام عن روسيا. وعلى الفور قام دودابيف، بتأسيس هيئة أركان حرب المقاومة المسلمة ضد روسيا. سرعان ما تصاعد التوتر في شمال القوقاز، إذ لم تحتمل روسيا رغم شدة الأزمات التي كانت تعصف بها، انسلاخ الشيشان آخر واكبر مصادرها البترولية. وأدركت القيادة الروسية أنها إذا سمحت بانسلاخها، فذلك يعني خسارة كافة جمهوريات شمال القوقاز المسلمة خلال وقت قصير. ولذلك فقد أعلن الرئيس الروسي بوريس يالتسين حالة الطوارئ، في ١٨ تشرين الأول من عام ١٩٩١ وانزل ألفين من عناصر أمن الداخلية الروسية في جمهورية الشيشان للقضاء على محاولتها الاستقلالية، إلا أن الشيشانيين تمكنوا من أسر معظمهم، وبعد عدة أيام تم ترحيلهم إلى روسيا[١٣٠] كما حاصر الشيشانيون قوات الجيش الروسي واجبروها على الانسحاب من الشيشان دون قتال مستولين على اكثر من ١٠٠ طائرة و٥٠ ألف قطعة سلاح[١٣١]. بعد فشل هذه الحملة قررت روسيا اتباع أساليب أخرى، ففرضت حصارا اقتصادياً ودبلوماسيا بدأته في خريف عام ١٩٩١. وعلى الرغم من قسوة الحصار وآثاره الخطرة على جمهورية الشيشان[١٣٢]، فقد فشل الروس في إخضاع الجمهورية أو الإطاحة بدودابيف بل نجح دودابيف في تحويل الجمهورية إلى دولة منظمة، تحولت إلى مركز

إشعاع ثوري ودعم لكل حركات التحرر في القوقاز، ومن أمثلة ذلك المساعدات التي قدمها الشيشانيون للأبخاز والتي ساعدهم في الانتصار على القوات الجورجية. وأصبحت الشيشان مركزاً لكونفدرالية دول القوقاز الجبلية، التي اتخذت كروزني مركزا لها وتزعمها موسى شانيبوف كباردي الأصل(١٣٣).

الحرب الشيشانية الأولى (١٩٩٤-١٩٩٦): بعد فشل الإجراءات الاقتصادية في تحقيق اية مكاسب بدأ الروس أواخر العام ١٩٩٤ بالتهيؤ للعمل العسكري ففي أواخر تشرين الأول أكتوبر من عام ١٩٩٤ دعمت القوات الروسية هجوما للمعارضة الشيشانية الموالية لروسيا على العاصمة غروزني، لكن المهاجمين ردوا على أعقابهم متكبدين خسائر جسيمة(١٣٤) وفي ١٩٩٤/١٠/١١ شنت قوات الجيش ووزارة الداخلية الروسيين هجوما ضد جمهورية الشيشان. ووقعت على الفور معركة عنيفة قرب العاصمة الشيشانية كروزني أسر فيها ٧٠ جندي روسي(١٣٥). وقد شارك في الهجوم الروسي على الشيشان ستون الف جندي روسي مزودين بـ(٢٢٥٠) دبابة ومدعومين بالطيران(١٣٦). وفي يوم ٣١ كانون الأول ١٩٩٤ واليوم التالي شن الروس هجومين على العاصمة الشيشانية تمكن المقاومون الشيشانيون من دحرهما أيضا(١٣٧). وخلال الأشهر اللاحقة دارت معارك عنيفة في غروزني وتمكن الروس من الوصول إلى القصر الجمهوري في غروزوني بعد أن كبدهم المقاومون الشيشان (١٥٠٠) قتيل. وأعلن دوداييف أن حرب الشيشان ستدوم اكثر من حرب أفغانستان. استمر الشيشانيون يقاومون بشراسة في الأحياء الجنوبية من غروزني، وساعد انضمام آلاف المتطوعين من مختلف جمهوريات القوقاز الإسلامية المجاورة وبعض المتطوعين من البلدان العربية والإسلامية المقاتلين الشيشانيين في الصمود(١٣٨). وفي ١٩٩٥/٦/١٥ نقل المقاتلون الشيشان الحرب إلى التراب الروسي حينما هاجمت وحدة من ٢٠٠ مقاتل شيشاني يقودهم شامل باساييف مدينة بودينوفسك الروسية حيث قتل ٤٠ روسيا واحتجز مئات الرهائن في مستشفى المدينة، وفشل آلاف جنود الجيش والاستخبارات وحرس الرئاسة الروسي في تصفية المقاتلين الشيشان. مما اضطر الروس إلى الجلوس إلى مائدة المفاوضات حيث عقد أول لقاء بين دوداييف وممثل السلطة الروسية أركادي فولسكي في ١٩٩٥/٧/٣، ولكن المفاوضات انتهت بالفشل رغم

أنها أدت إلى إطلاق سراح الرهائن وعودة المقاتلين الشيشانيين إلى بلدهم[١٣٩]. كما نفذت مجموعة شيشانية أخرى عملية احتجزت خلالها ألفا من الرهائن في مدينة قزليار في جمهورية داغستان المجاورة في ١٩٩٦/١/٩ انتهت هذه العملية بمقتل معظم المسلحين والرهائن وكذلك ٢٣٠ جنديا روسيا[١٤٠]. عقب هذا، قررت القيادة الروسية تصفية دوداييف الذي تحول إلى رمز للمقاومة[١٤١]. قامت طائرة الروسية بقصف مقر دوداييف بعد كشف موقعه من خلال تتبع هاتفه عبر الأقمار الصناعية يوم ٢١ نيسان ١٩٩٦[١٤٢] وتولي زليم خان يندربايف زعامة المقاتلين الشيشانيين[١٤٣]. زادت شراسة الهجمات الشيشانية واتسع نطاقها ليصل أخيرا إلى تطهير العاصمة كروزني وكبريات المدن الشيشانية مثل أرغون وغودرميس في الهجوم الذي شنه الشيشانيون في ١٩٩٦/٨/٦ والذي أسفر عن مقتل ١٢٣٠ جنديا روسيا في كروزني وحدها واسر المئات من الجنود الروس واجبر الروس على طلب وقف فوري لإطلاق النار بعد معارك استمرت ستة عشر يوما. وفي ٢٨ آب توصل رئيس الأركان الشيشاني أصلان مسخادوف وسكرتير مجلس الأمن القومي الروسي الكسندر لبيديف إلى اتفاق يقضي بسحب القوات الروسية من الشيشان، معلنين نهاية الحرب الشيشانية الأولى[١٤٤].

الجرائم الروسية ضد المدنيين خلال حرب (١٩٩٤-١٩٩٦):

شهدت الحرب الشيشانية الأولى جرائم إبادة ارتكبها الروس ضد العديد من المناطق الشيشانية حيث سحقت العديد من المدن عبر القصف الجوي والمدفعي الروسي الكثيف ومن أبرزها العاصمة كروزني ولكن ابشع هذه المجازر ما وقع في فيلاديقفقاز حيث أسفر الهجوم الروسي على تلك المدينة عن حوالي ١٥ ألف بين قتيل ومفقود من بين المدنيين فيما فر ٥٥ ألفا من سكانها إلى الجبال في درجات حرارة تصل إلى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر، ويدعي بعض سكان المدينة أن الروس اغتصبوا ٣٠٠ امرأة وقتلوا ٦٠ طفلا رضيعا[١٤٥]. أما مدينة غويسكي فقد احرقها الروس بالكامل وقتلوا فيها ٢٤٣٥٠ مدنيا من بينهم ٣٧٠٠ طفل و٤٦٥٠ امرأة حسب ما أكدت وثيقة لمفوضية حقوق الإنسان صدرت في ٢١/ ١٩٩٥/٢[١٤٦]. وفي الإجمال بلغت خسائر الشيشانيين في هذه الحرب ١٠٠٠٠٠ شخصا معظمهم من المدنيين[١٤٧]، كما جرح ١٣٠ ألف شخصاَ، وقدرت

خسائر الاقتصاد الشيشاني بـــ٢٦٠ مليار دولار، وعدد الذين لجئوا إلى البلدان المجـــاورة بعشرات الآلاف.

فترة ما بعد الحرب الشيشانية الأولى:

تم تكريس مبدأ استقلال الشيشان بموجب اتفاقية ٣١ آب– ١ أيلول بين روســيا والشيشان، ولكن أرجئ تقرير علاقة الشيشان بروسيا حتى العــام ٢٠٠١[١٤٨]. وبــدأت البلاد تتهيأ للانتخابات التي تمت في ٢٧كانون الثاني ١٩٩٧ وتمخضت عن فوز رئــيس الأركان الشيشاني اصلان مسخادوف أمام منافسيه سليم خان يندربايف وزعيم الحــرب شامل باساييف بنسبة ٦٨% من أصوات الناخبين الذين شاركوا في التصويت بنسبة عالية. أعتبر فوز مسخادوف فوز لسياسة الاعتدال وتفويضا له، لاستكمال المفاوضات مع روسيا للتوصل إلى الحل النهائي لوضع جمهورية الشيشان داخل أو خارج الاتحاد الروسي[١٤٩]. ورغم انتهاء العمليات العسكرية إلا أن روسيا اســتمرت التضــييق الاقتصــادي علــى الجمهورية التي لم يكن يمكنها إقامة علاقات مع أي جهة كونهــا محاطــة بجمهوريــات الاتحاد الروسي كما حرصت روسيا على عزل الشيشان سياسيا[١٥٠].

وفي ١٢/٥/ ١٩٩٧ وقع يلتسين ومسخادوف اتفاقية سلام مــن أهــم بنودهــا «التخلي إلى الأبد عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها عند حل أي قضــايا يختلــف عليها»[١٥١]. ولكن روسيا كانت تعد العدة في تلك الأثناء لإعادة سيطرتها العسكرية علــى الشيشان.

الحرب الشيشانية الثانية وما بعدها: في بداية عام ١٩٩٩، بدأت روسيا بالتهيئــة لحرب جديدة ضد الشيشان، حينما حركت قوات ضخمة لترابط على الحدود الشيشــانية. وفي ١٩٩٩/٩/٩ بدأت روسيا حرباً جديدة ضد جمهورية الشيشان مبتدئة بالقصف الجوي والمدفعي العنيف ضد القرى الشيشانية الحدودية ومتبعة سياسة النفس الطويل، بالرغم من أن القوات الروسية خلال هذه الحرب بلغت قرابة نصف مليون جندي مدعومين بأحــدث الأسلحة الهجومية، حيث استمر القصف الجوي والصاروخي (بالراجمات) والمدفعي مدة طوية قبل التقدم نحو أية مدينة شيشانية. وبينما تحولت المدن الشيشانية إلى أطــلال فــإن ٢٠٠ من أصل ٢٥٠ قرية شيشانية دمرت جزئيا أو كليا ولقد عرضت بعض المجــازر

الروسية التي ارتكبت في الشيشان على شاشات التلفزة كمجزرة سعدي كوتار التي قتل سكانها جميعا، ومدينة ساماشكا التي قصفت بالنابالم المحرم دوليا ومئات الأمثلة الأخرى. وقد قتل الجنود الروس بكل وحشية عشرات الآلاف من الشيشانيين العزل. فحيثما حلوا، انخرطوا في عمليات سلب ونهب وتدمير وقتل واغتصاب، كثيرا ما أكدتها وسائل الإعلام الدولية ومنظمات حقوق الإنسان. ويذكر أن آلافا من الشيشانيين قتلوا دون محاكمة، واغتصبت مئات النساء في ما سمي بمعسكرات التصفية الروسية ومنها تولستوف يورت وموزدوك وتشرنو كوزوفو وساماشكا. وتقدر خسائر الشيشانيين في الحرب الشيشانية الثانية حتى العام ٢٠٠١ بـ(١٥٠٠٠٠) قتيل. وقد دمر القصف الروسي ٦٠% من المنازل والبنايات في الشيشان[١٥٢]. أمام ضراوة هذا الهجوم الروسي العنيف وضغطه على الشعب والمقاتلين الشيشانيين، اضطر هؤلاء، إلى الانسحاب نحو المناطق الجبلية، ورغم أن الحرب انتهت عمليا منذ العام ٢٠٠١، إلا أن المسلحين الشيشانيين ما زالوا يقومون ببعض الضربات هنا وهناك، متبعين أسلوب حرب العصابات، وبصفة خاصة الألغام والكمائن وخطف الرهائن. ولا يبدو أن لازمة الشيشان نهاية تلوح في الأفق القريب.

ثانياً – النزاع الأذربيجاني الأرمني حول إقليم كارباخ:

إقليم كاراباخ هو جيب ذو غالبية أرمنية (٨٠%) يتمتع بحكم ذاتي ضمن جمهورية أذربيجان، يفصله عن أرمينيا شريط بري ضيق يزيد عرضه قليلا عن ٧ كم. وقد كان هذا الإقليم منذ بداية العهد السوفيتي ونشأة الجمهوريتين مثار نزاع بينهما. تجدد النزاع في أواخر العهد السوفيتي ففي العام ١٩٨٨ نظمت حركة كارباخ القومية التي أنشأها سكان الإقليم مظاهرة دعت إلى ضم الإقليم إلى أرمينيا. سرعان ما بدأت تقع حوادث أمنية وعسكرية تطورت إلى معارك عسكرية بين سكان الإقليم وحكومة باكو مع انهيار الاتحاد السوفيتي واستقلال كل من أرمينيا وأذربيجان. إذ أعلن أرمن كاراباخ انفصالهم عن أذربيجان ودخلت الحرب طورا جديدا، وأصبحت عمليا بين دولتي أرمينيا وأذربيجان رغم ادعاء أرمينيا أنها لم تقدم الدعم لسكان الإقليم المتحمسين الذين سيطروا على أراضيه وتبع هذه الاشتباكات عمليات تهجير طالت ٧٠٠ ألف من الطرفين[١٥٣].

وقع الطرفان في ١٠/ ١٩٩٢/٣ وقفاً لإطلاق النار سرعان ما تم انتهاكه، ورغم محاولات التوسط الإيرانية والروسية والتركية فقد استمر القتال بين الطرفين(١٥٤). وبلغ ذروته سنة ١٩٩٣، ففي مطلعها تمكنت المليشيات الأرمنية في كارباخ من الاستيلاء على ممر لاشين الموصل بين كرباخ وأرمينيا وفي أواسط هذا العام حقق الأرمن انتصارا آخر حينما استولوا على قضاء كلباجار الأذربيجاني واستمرت المعارك حتى تموز، تمكن الأرمن خلالها من الاستيلاء على ١٧% من أراضي جمهورية أذربيجان. أدى سقوط مدينة أغدام الستراتيجية إلى إجبار حكومة أذربيجان على الدخول في مفاوضات مباشرة مع الكارباخيين. ورغم رضوخ أذربيجان للأمر الواقع الذي فرضته هزائمها العسكرية إلا أنها لم تعترف بجمهورية كارباخ كما لم يفعل أي طرف دولي(١٥٥). وما تزال كاراباخ تشكل أزمة غير محسومة مرشحة للانفجار في أي لحظة.

ثالثاً- الأزمة الابخازية:

ابخازيا جمهورية ذات أغلبية مسلمة شركسية الأصل ضمت إلى جورجيا كمنطقة ذاتية الحكم بضغط من ستالين (جورجي الأصل) سنة ١٩٣١ رغم إرادة سكانها ورغم العداء التاريخي بينهم وبين الجورجيين. ومع استقلال جورجيا عن الاتحاد السوفيتي وانتخاب زفياد غمساخورديا رئيسا لها في أيار ١٩٩١(١٥٦)، انتهز برلمان ابخازيا الفرصة ليعلن إقامة انتخابات حرة فاز فيها الدكتور فيلاديسلاف أردزينبا رئيساً للجمهورية(١٥٧). أعلن أن العلاقة بين جورجيا وابخازيا علاقة بين دولتين ورفض الانفصال الفوري عن روسيا الاتحادية(١٥٨). وفي ١٩٩٢/١/٦ حصل انقلاب مسلح ضد الرئيس الجورجي ونشبت حرب أهلية في جورجيا، بين مؤيدي الرئيس ومعارضيه، دخلت القوات الجورجية إلى العاصمة الابخازية سوخومي في ١٩٩٢/٢/١٤ أثناء انعقاد البرلمان الابخازي بحجة مطاردة أنصار الرئيس المخلوع، وحاولت اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان الابخازي. انسحبت الحكومة الابخازية إلى غوداوتا ونظمت الدفاع عن الإقليم في ما استولى الجورجيون على سوخومي(١٥٩). وحدثت مقاومة شديدة من المليشيات الأبخازية، سرعان ما دعمها المتطوعون من شتى الجماعات المقاتلة التي تدفقت من مختلف أنحاء شمال القوقاز خاصة الشيشان وكان لهذه القوات التي بغت

عشرات الآلاف دور كبير في دعم صمود الابخاز[١٦٠]. حيث دارت حرب استقلال أدت إلى استرجاع النصف الشمالي الشرقي من ابخازيا. مع تزايد الأعمال العسكرية تدخلت روسيا وعملت على الفصل بين قوات الطرفين، ووقع اتفاق برعاية روسية في موسكو يقضي بتكوين قوات لحفظ الأمن من الأطراف الثلاث. عادت المعارك لتندلع على نطاق واسع في تموز عام ١٩٩٣، واتهمت جورجيا، الروس بالاشتراك في المعارك إلى جانب الابخازيين[١٦١]. انتهت المعارك باسترجاع الأبخازيين، عاصمتهم سوخومي، وطرد الجورجيين من كل ابخازيا أواخر ايلول عام ١٩٩٣[١٦٢]. تجددت الأعمال العسكرية عام ٢٠٠٦ حينما توغلت القوات الجورجية، في الأراضي الابخازية واحتلت أعالي نهر قودور. لكن الأبخاز استغلوا انشغال جورجيا في الصراع مع روسيا التي تدخلت ضد القوات الجورجية التي اجتاحت اوسيتيا الجنوبية عام ٢٠٠٨، وقاموا بطرد الجورجيين من الأراضي الابخازية. وتزايد اعتماد ابخازيا على موسكو لدعمها اقتصاديا والحيلولة دون إعادة احتلالها من قبل جورجيا[١٦٣]. وقد اعترفت روسيا بعد حرب عام ٢٠٠٨ باستقلال كل من أبخازيا وأوسيتيا[١٦٤]. فيما لا تزال جورجيا تعتبر ابخازيا إقليما منشقا، وهي تحضى بدعم الغرب في مطالبتها.

رابعاً- أوسيتيا الجنوبية والأزمة الروسية الجورجية

منذ استقلال جورجيا، عام ١٩٩١ أعلنت جمهورية اوسيتيا الجنوبية التي كانت تتمتع بحكم ذاتي داخل جورجيا استقلالها عنها. دعمت اوسيتيا الشمالية التابعة للاتحاد الروسي هذا الاستقلال وأقحمت نفسها في القتال الذي دار بين الجورجيين والاوسيتيين الجنوبيين عام ١٩٩٢، واتهم الرئيس الجورجي روسيا بانها هي التي أوعزت لاوسيتيا الشمالية بالتدخل[١٦٥]. انتهى القتال بدخول قوات الفصل الدولية. لكن الموقف تفجر مرة أخرى عام ٢٠٠٨ حينما قام الرئيس الجورجي ميخائيل ساكاشفيلي بمحاولة جديدة للسيطرة على أوسيتيا الجنوبية بالقوة[١٦٦]، إذ توغلت القوات الجورجية في اوسيتيا الجنوبية، وقتل خلال المعارك (٢٠٠٠) مدني. إزاء هذا الموقف زجت روسيا بثقلها في المعارك وقامت بطرد الجورجيين وملاحقتهم إلى الأراضي الجورجية. ولغرض حماية

أوسيتيا وابخازيا من محاولات جورجية جديدة للسيطرة عليها اعترفت روسيا باستقلالهما عام ٢٠٠٨[١٦٧].

خامسا- الأزمة بين أنغوشيا واوسيتيا الشمالية:

كان للأنغوشيين قبل الحرب العالمية الثانية حكم ذاتي في نطاق الاتحاد السوفيتي لكن ستالين اتهمهم بالتواطؤ مع الألمان وقام بتهجيرهم إلى سيبريا وتقسيم أراضيهم بين جمهوريتي الشيشان واوسيتيا المجاورتين. وبعد رد الاعتبار للشعوب المضطهدة في عهد خروتشيف طالب الانغوشيين برد قضاء بريغورودافي الذي ضم إلى اوسيتيا الشمالية. لكن الاوسيتيين رفضوا ذلك. بعد انهيار الاتحاد السوفيتي جدد الانغوش مطالبتهم بالقضاء الذي تقطنه غالبية انغوشية. ولكن الاوسيتيين رفضوا الاستجابة، مما أدى إلى نشوب حرب الأيام الأربعة التي بدأها الاوسيتيون في ٣١ تشرين الأول ١٩٩٢، وقتل خلالها ٤٠٠ شخص. أعقبتها حملة تهجير أرغم خلالها ٦٠ ألف انغوشي على الرحيل إلى انغوشيا تحت أنظار القوات الروسية المتواجدة في انغوشيا والتي أبدت تعاطفا مع الاوسيتيين كونهم مسيحيين. حاولت موسكو تطويق الأزمة ولكن مؤتمر الشعب الانغوشي المنعقد أواخر تموز ١٩٩٣ طالب بعودة اللاجئين فورا وربط استمرار عضوية انغوشيا في الاتحاد الروسي، باسترجاع الأراضي الانغوشية. وبدأت انغوشيا تتقرب إلى الشيشان. مما أثار حفيظة موسكو التي اعتبرت ذلك بمثابة إعلان الحرب عليها. وتشهد انغوشيا اليوم حركات إسلامية مسلحة مطالبة بالاستقلال على غرار ما تشهده جمهورية الشيشان المجاورة[١٦٨].

سادساً- اتساع المد الأصولي الإسلامي في شمال القوقاز:

على الرغم من أن قوة العمليات المسلحة للانفصاليين الشيشانيين فترت كثيرا، بعد الحرب الشيشانية الأخيرة، إلا أنها اتسعت من حيث نطاقها الجغرافي، وتأثيرها في جمهوريات شمال القوقاز المجاورة. كما حدثت تغيرات كبيرة في طبيعة هذه الحركة بعد أن سيطر عليها الجناح الأكثر تشددا والذي لا يقبل مطلقا بالتفاوض مع الروس وتم عزل المعتدلين بعد اتهامهم بالكفر والنفاق. كما تمكنت الحركات المسلحة الإسلامية من كسب

المزيد من الأنصار في معظم جمهوريات شمال القوقاز، فقد شهدت كل من داغستان وانغوشيا وكاباردينو بلكاريا وكارتشاي شركيسيا نشوء حركات مسلحة إسلامية الطابع تعمل باتجاه الانفصال عن روسيا الاتحادية(١٦٩). وفي مقابل ذلك تزايدت أعمال العنف وانتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها القوات الروسية ضد المدنيين، والتي كثيرا ما أدانتها العديد من منظمات حقوق الإنسان، ومن أمثلة ذلك قيام سبع منظمات أوروبية لحقوق الإنسان بإصدار وثيقة بعنوان احموا حقوق الإنسان في شمال القوقاز، أدانت فيها قيام القوات الروسية بممارسة عمليات الاختفاء القسري والتعذيب وأخذ الاعترافات بالإكراه والإحراق العقابي لمنازل أقرباء المتمردين المزعومين(١٧٠). كما ترك الوضع الأمني المتردي والحرب المدمرة التي حدثت في شمال القوقاز آثارها الاقتصادية والخدمية والصحية على المدنيين فقد أودت الألغام الأرضية غير المنفجرة بحياة (٣٠٠٠) شيشاني منذ عام ١٩٩٥ كما تعاني منطقة شمال القوقاز من تدني الخدمات الصحية إلى مستويات خطيرة بلغت اقل من ربع مستواها في عموم روسيا حيث ينتشر نقص المناعة البشرية باطراد. وقد عانى الأطفال أكثر من غيرهم، إذ يحتاج جيل كامل منهم إلى إعادة التأهيل النفسي(١٧١).

المطلب الثالث- التنافس الإقليمي في القوقاز:

فتح انهيار الاتحاد السوفيتي، الباب على مصراعيه أمام تطلعات قوى دولية وإقليمية لبسط نفوذها في كل من آسيا الوسطى والقوقاز، ففضلا عن روسيا التي تحاول أن تستعيد دورها كدولة عظمى من خلال ربط هذه الدول بها اقتصاديا وعسكريا وثقافيا، تحاول كل من تركيا وإيران استثمار المعطيات التاريخية والجغرافية والحضارية والظروف والأوضاع السياسية والاقتصادية الجديدة للحصول على اكبر قدر ممكن من المكاسب. كما يحاول الغرب أن يتسلل إلى المنطقة من خلال استثمار حاجة دول المنطقة إلى التملص من الهيمنة الاقتصادية الروسية.

أولاً- روسيا

تعتبر روسيا منطقة القوقاز ذات أهمية ستراتيجية كبرى بالنسبة لها، كونها تمثل آخر المناطق الروسية المطلة على البحر الأسود والموصلة بالتالي إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط. وكذلك لكونها واحدة من أغنى مراكز الطاقة بعد الخليج العربي وشرق بحر قزوين وأقربها من روسيا. فهي تشكل جزءاً أساسيا من المجال الحيوي الروسي وركيزة من ركائز الأمن القومي في روسيا الاتحادية. وعقب انهيار الاتحاد السوفيتي أدركت روسيا المخاطر الكبيرة لانسحابها من القوقاز. وأحيا استقلال جمهوريات جنوب القوقاز الثلاث المخاوف الروسية من انبعاث النفوذ التركي، إلى جانب القلق الروسي من التحدي الإسلامي المحتمل والذي سرعان ما بات حقيقة جلية عاشها الروس مع اندلاع حرب الشيشان. وقد أبدى التقرير الستراتيجي الروسي لعام ١٩٩٤ تخوف روسيا من احتمال تأسيس دولة تركية، أو إيرانية كبرى، وكذلك من تمدد واتساع حلف الناتو إلى المجال الحيوي الروسي. لذلك اتجهت روسيا إلى إعادة بسط هيمنتها على جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. وخصوصا القوقاز لقربها من قلب روسيا الأوربية، ولتسهيل الوصول إلى هذا الهدف اعتمدت روسيا أسلوب دعم النزاعات في الدول المنسلخة عن الاتحاد السوفيتي خاصة تلك الراغبة بالمزيد من الاستقلال الاقتصادي عن روسيا، والتي تحاول التقرب من الغرب مثل جورجيا فقد دعمت روسيا علنا الحركات الانفصالية في كل من ابخازيا واوسيتيا الجنوبية ضد جورجيا كما دعمت روسيا الأرمن في إقليم كارباخ ضد أذربيجان[١٧٢]. وفي نفس الوقت استغلت روسيا النزاعات الناشبة في القوقاز للمحافظة على وجودها العسكري هناك كاستغلالها للأزمة الابخازية للإبقاء على قواعدها في جورجيا. وبررت وجودها العسكري في أرمينيا بدعم الأرمن في كارباخ، في إطار معاهدة الدفاع المشترك مع أرمينيا، والتي لم تدخلها أذربيجان[١٧٣]. وفي ذات الوقت استخدمت روسيا استعدادها للتعاون العسكري والاقتصادي مع هذه الجمهوريات لاجتذابها نحو روسيا، ففي العام ١٩٩٦ أقامت روسيا نظام دفاع جوي متكامل مع كل من أرمينيا وكازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان. وترى روسيا أن التحديات العسكرية التي تواجهها في المنطقة مصدرها تركيا والولايات المتحدة. لذلك تحرص على الاحتفاظ بقوات وقواعد عسكرية في دول جنوب القوقاز الثلاث ففي العام ١٩٩٩ كان لروسيا

حوالي ١٣٠٠٠ جندي في جمهوريات جنوب القوقاز المستقلة معظمهم في جورجيا، التي حرصت حكومتها على إنهاء الوجود العسكري الروسي وإقامة علاقات جيدة مع الغرب. كما تحتفظ قيادة شمال القوقاز الروسية بـ(٨٠٠٠٠) جندي وهي من اكبر القيادات العسكرية في الجيش الروسي[١٧٤]. وتتزايد مخاوف موسكو من امتداد حلف شمال الأطلسي أو النفوذ التركي عبر القوقاز لذلك كان تتصرف بحزم، كلما استشعرت بوادر لهذا الامتداد. فقد ناصرت أرمينيا في حرب كارباخ لإن أذربيجان رفضت الانضمام إلى رابطة الدول المستقلة وتقربت من تركيا وحلف الأطلسي[١٧٥]. وكذلك اتخذت روسيا موقفا حازما من جورجيا وصل إلى حد الحرب السافرة ودعم انفصال ابخازيا وأوسيتيا الجنوبية عنها، بسب انضمام جورجيا إلى مجلس أوروبا، ومحاولتها الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي[١٧٦]، وتلقيها في عهد ساكاشفيلي مساعدات عسكرية أميركية قدرت بملياري دولار. فقبل أسبوع من الاجتياح العسكري الجورجي لأوسيتيا الجنوبية، الذي نشبت إثره حرب عام ٢٠٠٨ بين روسيا وجورجيا، جرت مناورات عسكرية أميركية جورجية قرب تفليسي، مما يوحي بوجود دور أميركي تحريضي في الاجتياح الجورجي لأوسيتيا الجنوبية[١٧٧].

ثانيا– تركيا:

بينما كانت تركيا تواجه الآثار السلبية لنهاية الحرب الباردة على أمنها القومي وسياستها الخارجية من خلال تضاؤل أهميتها الجيوبولتيكية لدى الغرب. فتح انهيار سريع للاتحاد السوفيتي، وانكشاف لجمهوريات القوقاز وآسيا الوسطى أمامها آفاقا واسعة لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية متنوعة، باستغلال روابطها العرقية والتاريخية بشعوب هذه الجمهوريات، الأمر الذي نظر إليه في تركيا كفرصة تاريخية قد تحول تركيا إلى قوة عالمية. كما تصاعدت أهمية الدور التركي لدى الغرب، لإستشعاره أهمية هذا الدور، في حث هذه الدول الناشئة حديثا على تبني النموذج الغربي، وخشية من اتجاهها نحو تبني النموذج الراديكالي الإسلامي[١٧٨]. وفي هذا الإطار فقد كانت تركيا من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال هذه الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتي، بهدف ترسيخ أقدامها في هذه المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية لأمنها القومي. وبدأت تعمل على استعادة النفوذ الذي

كانت تتمتع به الدولة العثمانية على هذه المنطقة متخلية عن أهم أسس سياستها الخارجية منذ عهد اتاتورك والمتمثلة في التركيز على علاقتها بأوربا الغربية والتخلي عن اهتمامها بالشرق والجنوب. وتبين مقولة الرئيس التركي السابق سليمان دمريل «إن هناك عالما تركيا بذأ يتشكل يمتد من البحر الادرياتيكي إلى حدود الصين» سعة الطموحات التركية التي فتحها انهيار الاتحاد السوفيتي حيث باتت تركيا تطمح لأن تصبح القوة الإقليمية الأولى في المنطقة[١٧٩]. ولكن إعراب روسيا عن قلقها منتحركات تركيا العنصرية، قيدت التحرك التركي في إطار (الطورانية)[١٨٠] وخففت من حدة اندفاع تركيا نحو الهيمنة على جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز لعدم استثارة روسيا. ومع ذلك لم تخف روسيا قلقها من تنامي النفوذ الاقتصادي التركي ومن ورائه الأميركي في الجمهوريات المستقلة. وتكثر دوافع تركيا لتفعيل علاقاتها مع هذه الدول، فبحكم ما تمتلكه هذه الجمهوريات من مكامن الطاقة، ولكون معظمها دولاً مغلقة لا منفذ لها على البحر إلا من خلال دول أخرى اشتد التنافس بين عدد من الدول خاصة روسيا وتركيا وإيران للاستحواذ على طرق أنابيب النفط والغاز وفي هذا الإطار يشتد النافس بين روسيا الطريق التقليدي لهذه الأنابيب نحو البحر الأسود وتركيا، إذ يتجه أحد الأنابيب الأذربيجانية عبر جورجيا نحو ميناء جيهان التركي على البحر الأبيض المتوسط والذي تميل أذربيجان إلى استعماله في تصدير أغلب بترولها وغازها. كما تعد هذه الدول الحديثة أسواقا واعدة للمنتجات التركية[١٨١]. أما في الميدان الثقافي فقد سبقت تركيا منافسيها في نشر نفوذها الثقافي على جمهوريات القوقاز وآسيا الوسطى ففي نيسان ١٩٩١ نجحت تركيا في عقد مؤتمر للشعوب التركية في مدينة قازان الروسية. تقرر فيه، تأسيس حزب مؤتمر الشعوب التركية، وكذلك على تبني النموذج التركي للحكم القائم على العلمانية والتعددية السياسية وتجربة التحول إلى اقتصاد السوق، وكذلك تبني هذه الجمهوريات اللغة التركية بالخط اللاتيني على غرار تركيا[١٨٢] وتمثل أذربيجان حجر الزاوية في طموحات تركيا ومن ورائها الولايات المتحدة والغرب، للنفاذ إلى ثروات القوقاز وآسيا الوسطى الضخمة خاصة في مجال الطاقة حيث تمثل أذربيجان (سدادة الزجاجة الحاوية على ثروات بحر قزوين) والتي لن يكون لها قيمة لدى الغرب إذا أصبحت أذربيجان خاضعة كليا لموسكو، لذلك تحضا توجهات تركيا لاجتذاب أذربيجان إليها بدعم الولايات المتحدة وأوروبا[١٨٣].

لذلك فقد دعمها الأتراك في مطالبها باسترجاع إقليم كارباخ. ولم يقتصر التغلغل الروسي في القوقاز على الدول حديثة الاستقلال، بل امتد إلى جمهوريات شمال القوقاز الخاضعة للاتحاد الروسي. إذ ساهمت المنظمات التركية غير الرسمية، في دعم الشيشانيين ضد الروس، من خلال التحويلات المالية وإرسال المتطوعين إلى الشيشان. كما زار الرئيس الشيشاني جوهر دودابيف تركيا في تشرين الأول عام ١٩٩٣، مما أدى إلى استياء روسي كبير. كما لجأ إلى تركيا بعض قادة المقاومة الشيشانية مثل عمر خان بابيف، ومع ذلك فإن الموقف الرسمي التركي لم يدعم قضية الشيشان، خشية أن تدعم روسيا القضية الكردية أو الأطماع الأرمنية في تركيا[١٨٤].

ثالثاً- إيران

اتبعت الحكومة الإيرانية في تعاملها مع جمهوريات القوقاز الناشئة، أسلوبا حذرا تتجاذبه المخاوف الأمنية من جهة، والمصالح السياسية والاقتصادية من جهة أخرى. وقد أسهمت عدة عوامل في انتهاج الإيرانيين لهذا الأسلوب منها الوضع الداخلي في إيران التي كانت خارجة للتو من حرب مدمرة مع العراق عندما استقلت دول القوقاز، وحرص إيران على المحافظة على علاقات ودية مع روسيا، وسعي إيران إلى تبديد شكوك الدول الجديدة إزاء نواياها الأيدلوجية، لأنها أرادت أن تكون شريكا اقتصاديا موثوقا به لدى هذه الدول[١٨٥]. ومع أن طموحات إيران الحالية في القوقاز متواضعة إذا ما قورنت بالطموحات الروسية أو التركية، فإنها على المدى الطويل خطيرة جدا، لأن كل السكان المسلمين حتى في روسيا ذاتها هم هدف لتصدير النموذج الديني في إيران. فنشر هذا النموذج في القوقاز وآسيا الوسطى، أصبح جزءا عضويا من طموحات الحكام الحاليين لإيران[١٨٦]. وتأتي جمهورية أذربيجان المستقلة في مقدمة الاهتمامات الإيرانية في القوقاز لاعتبارات مهمة ومتعلقة بوحدة الأراضي الإيرانية أهمها التداخل الاثني[١٨٧]. إذ يشكل الأذربيجانيين القومية الثانية من حيث الحجم في إيران، حيث يبلغ عددهم في محافظتي تبريز وأرومية اللتان تشكلان أذربيجان الإيرانية عشرة ملايين نسمة، ويجاور إقليم أذربيجان الإيراني جمهورية أذربيجان المستقلة[١٨٨]. وقد بعث استقلال أذربيجان المخاوف الإيرانية من الطموحات القومية الأذرية، والمطالبة بتوحيد الشعب الأذري، لذلك

فهي تقف من أذربيجان موقفا تتجاذبه الهواجس الأمنية من جهة والرغبة في الهيمنة الأيديولوجية والاقتصادية من جهة أخرى، وذلك من خلال تغليب البعد المذهبي على القومي في علاقتها مع أذربيجان، التي تدين هي الأخرى بالمذهب الشيعي. وتدعم إيران العديد من المنظمات الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية، داخل أذربيجان، حتى أن الحكومة الأذربيجانية اتهمت إيران بمحاولة فرض نموذجها السياسي على أذربيجان[١٨٩]. عملت إيران على مواجهة النفوذ التركي في القوقاز مستغلة وجود أرمينيا المعروفة بعدائها لتركيا، والتي أقامت إيران معها علاقات جيدة، للضغط على تركيا وأذربيجان. وفي نفس الوقت حاولت إقامة علاقات جيدة مع أذربيجان التي تربطها بتركيا روابط عرقية وبإيران روابط مذهبية. ولكن التحدي الكبير الذي واجهته إيران كان النزاع المسلح بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم كارباخ. إذ وقفت إيران حائرة بين الاستجابة لعلاقاتها القوية مع أرمينيا ومن ورائها روسيا التي تأمل أن تدعم برامجها النووية في المحافل الدولية وبين الاستجابة لضغوط الشارع الإيراني الذي كان متعاطفاً مع الشعب الأذربيجاني المسلم[١٩٠]، إذ تعرض موقف الحكومة الإيرانية المهادن لأرمينيا وعدم اتخاذها الموقف المناسب من احتلال الأرمن لجزء كبير من أراضي أذربيجان لانتقادات من قبل شرائح واسعة من الشعب الإيراني. ففي كل من تبريز قاعدة أذربيجان الإيرانية والعاصمة طهران جرت مظاهرات واسعة، تأييدا لأذربيجان، بعد احتلال الأرمن لقضاء كلبجار الأذربيجاني[١٩١]. لذا اضطرت الحكومة الإيرانية أن تأخذ على عاتقها الوساطة بين الطرفين لحل النزاع. فرعت في آذار عام ١٩٩٢ وقفا لإطلاق النار مدة أسبوعين ولكن سرعان ما انتهكه الأرمن، كما اجتمع الرئيسان الأذربيجاني والأرمني في طهران في ١٠/٥/ ١٩٩٢، واتفقا على وقف إطلاق النار، انتهك هو الآخر. وفي النهاية رفض الأذربيجانيون عام ١٩٩٣ أي وساطة إيرانية[١٩٢].

الخاتمة

تشهد القوقاز اليوم العديد من الأزمات المتفاقمة وأخرى مهددة بالتفاقم، ومعظم هذه الأزمات تأخذ شكل حروب دينية أو عرقية. على خلفية تراكمات تاريخية من انعدام للثقة والأواصر بين شعوب القوقاز والتي ساعدت عليها الطبيعة الجبلية لتلك الشعوب،

والتي أبقتها معزولة عن بعضها مما حال دون نشوء ثقافة مشتركة تجمع بين شتى شعوب القوقاز، لذا نجد في القوقاز تنوعا عرقيا ودينيا وثقافيا ولغويا، يندر أن يرى في غيرهـــا. ومعظم الأزمات التي تشهدها القوقاز اليوم ذات خلفية دينية، فباستثناء النزاع الجورجي- الاوسيتي والروسي- الجو رجي الذي يعد امتدادا له، والذي يقوم على خلفية عرقية، فإن معظم الأزمات التي تشهدها القوقاز هي امتداد لتراكمات عهد الاحتلال الروسي للقوقـــاز والذي وقفت فيه الشعوب النصرانية في القوقاز (الجورجيون والأرمن والاوسيتيون) جنبا إلى جنب مع الروس في محاولة استئصال الإسلام من القوقاز. الأمر الذي واجه مقاومة شرسة من قبل المسلمين خاصة الشيشانيون والشراكسة والداغستانيون. واستمر الضـــغط على المسلمين في عهد الاتحاد السوفيتي وأخذ الضغط في هذا العهد بعداً فكريا بالإضافة إلى الضغط المادي الذي بلغ ذروته في حملات التهجير الواسعة للشعوب الإسلامية فـــي عهد ستالين. وهكذا نجد أن معظم الشعوب المســـلمة فـــي الاتحـــاد الســـوفيتي فضـــلت الاستقلال. كما أن معظم الجمهوريات الإسلامية ضمن الاتحاد الروسي شـــهدت ظهـــور حركات انفصالية أبرزها ما شهدته جمهورية الشيشان والذي امتدت تداعياته إلى معظـــم جمهوريات شمال القوقاز ذات الأغلبية الإسلامية.

نتائج البحث

١-تتمتع القوقاز بموقع حيوي كونها ممر بين قارتي آسيا وأوربا مما جعل منهـــا محـــط أنظار الكثير من الإمبراطوريات والغزوات القبلية الكبيرة التي شهدتها القارتين. الأمر الذي أفرز فيها تركيبة سكانية شديدة التنوع والتعقيد.

٢-كان دخول الإسلام إلى القوقاز في القرن السابع الميلادي وانتشاره بين معظم شعوبها عاملا حاسما في تشكيلها سياسيا وثقافيا، فقد خلق الإسلام ثقافة موحدة بين الكثير من شعوب القوقاز. ونتج عن ذلك أن النزاعات المرتكزة علـــى الخلفيـــة الدينيـــة (بـــين المسلمين والمسيحيين) باتت هي السائدة في القوقاز، بعد أن كانت في معظمها نزاعات عرقية.

٣-أنحصر التنافس على النفوذ في القوقاز منذ أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، بـــين ثلاث قوى رئيسة هي الدولة الصفوية والدولة العثمانيـــة والإمبراطوريـــة الروســـية

الناشئة وانتهى النزاع في أوائل القرن التاسع عشر بتغلب روسيا على منافسيها، بعد أن أنهكهما الصراع فيما بينهما.

٤-قاوم المسلمون في القوقاز الغزو الروسي للإقليم مقاومة شديدة كلفت الروس خسائر فادحة، بحيث استغرقوا ما يزيد على خمسة عقود في إخضاع هذا الإقليم، وكانت حرب القوقاز من أقسى الحروب الاستعمارية. لم يستطع الروس إنهائها إلا باستعمال القسوة المفرطة التي أدت إلى إبادة وتهجير شعوب بأكملها.

٥-طوال عهد الاحتلال الروسي القيصري للقوقاز والعهد السوفيتي الذي تلاه حاولت سلطات موسكو أن تغير التركيبة السكانية للقوقاز، خاصة من الناحية الدينية عبر التشجيع على هجرة الشعوب السلافية إليها، وعمليات التهجير لشعوبها المسلمة التي بلغت ذروتها في عهد ستالين. كما قام ستالين بتغييرات إدارية ما تزال تتسبب حتى اليوم بالعديد من الأزمات بين مختلف جمهوريات القوقاز.

٦-رغم محاولات الاتحاد السوفيتي طمس الهوية الدينية والقومية لشعوب القوقاز طوال سبعة عقود من عمره، إلا أنه ما أن تراخت قبضته عن هذه الشعوب أوائل تسعينات القرن المنصرم حتى استفاقت تطلعاتها القومية والدينية. وهكذا انفصلت عن الاتحاد السوفيتي ثلاث جمهوريات في القوقاز، فيما تكافح العديد من الكيانات ضمن روسيا الاتحادية (الشيشان وبقية جمهوريات شمال القوقاز الإسلامية) في سبيل انتزاع استقلالها متخذة هويتها الدينية أساسا لهذا الاستقلال.

٧-شهدت القوقاز بعد انهيار الاتحاد السوفيتي العديد من الأزمات السياسية التي تحولت إلى نزاعات مسلحة معظمها ذات طابع حدودي أو انفصالي، وكثير منها يؤججها الاختلاف الديني. وإرث العلاقات المتوترة بين شعوب القوقاز. ولا تزال معظم هذه الأزمات غير محسومة مما ينذر بانفجارها في أية لحظة.

٨-تتنافس ثلاث قوى محلية رئيسة على النفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي في القوقاز، هي كل من روسيا وتركيا وإيران، ولكل من هذه القوى روابط تاريخية أو عرقية أو دينية بالقوقاز، أو بأطراف في هذا الإقليم، تطمح إلى استغلالها في تدعيم نفوذها في القوقاز. ويبدو أن النفوذ التركي الذي يحضا بدعم الغرب في طريقه إلى التغلب التدريجي على نفوذ الإيرانيين الذين، نفرت الكثير من دول القوقاز من محاولاتهم

فرض نموذجهم السياسي والديني عليها، وروسيا التي ينفر منها القوميون في هذه الدول باعتبارها امتدادا للاتحاد السوفيتي. وتعمل تركيا على استغلال روابطها العرقية والتاريخية، بالمنطقة، وميل دول القوقاز الناشئة حديثا إلى تبني النموذج السياسي التركي، كنوع من التقرب للغرب.

الهوامش

(١) اللغة السنسكريتية هي اللغة الأم للأجناس البشرية المسماة الشعوب الهندو أوربية والتي تعود إليها معظم شعوب أوربا والهند وإيران والقوقاز.

(٢) د.أحمد موسى الشيشاني، حرب القوقاز الأولى، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، مطابع رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٥ هـ، ص١٥.

(٣) دار العلم للملايين، مجلة المعرفة، المجلد السادس عشر (القوقاز)، بيروت: الدار، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣، ص٢٩٣٢.

(٤) د.أحمد موسى الشيشاني، مرجع سابق ص١٧- ١٨.

(٥) وليد خدوري، ظاهرة أسعار النفط العالية في ٢٠٠٤، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣١٠ سنة ٢٠٠٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص٤٦.

(٦) البروفيسور بول آميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة شكري علاوي، بيروت: مكتبة الحياة، د.ت، ص ٦٨.

(٧) د.أحمد موسى الشيشاني، المرجع سابق، ص ١٥.

(٨) مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي إلى إمارة المجاهدين، ج١، د.م، المركز، ١٤٣٠هـ، ص١٠.

(٩) دار العلم للملايين، مرجع سابق، ص٢٩٣٢-٢٩٣٣.

(١٠) إحسان عبد الحميد خن، الشيشان حرب إبادة وجريمة عصر، دمشق: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٧، ص٨.

(١١) دار العلم للملايين، مرجع السابق، ص٢٩٣٣.

(١٢) إحسان عبد الحميد خن، مرجع السابق، ص٨- ١٠.

(١٣) دار العلم للملايين، مرجع سابق، ص٢٩٣٣.

(١٤) المرجع نفسه، ص٢٩٣٢.

(١٥) د.أحمد موسى الشيشاني، مرجع سابق، ص٢٢.
(١٦) المرجع نفسه، ص٣٢.
(١٧) مركز أنصار الإعلام، مرجع سابق، ص١٢.
(١٨) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص١٢.
(١٩) مركز أنصار الإعلام، مرجع سابق، ص١٢.
(٢٠) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، بيروت: دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص٢٢٥.
(٢١) د.أحمد موسى الشيشاني، مرجع سابق، ص٣٥.
(٢٢) المرجع نفسه، ص٣٨.
(٢٣) مسعود الخوند، مرجع سابق، ص٢٢٤.
(٢٤) دار العلم للملايين، مرجع سابق، ص٢٩٣٣.
(٢٥) د.أحمد موسى الشيشاني، مرجع سابق، ص٢٥.
(٢٦) دار العلم للملايين، مرجع سابق، ص٢٩٣٣.
(٢٧) مسعود الخوند، مرجع سابق، ص٢٢٤.
(٢٨) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٨، بيروت: دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص١٧.
(٢٩) دار العلم للملايين، مرجع سابق، ص٢٩٣٣.
(٣٠) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج١، مرجع سابق، ص١٣٦- ١٣٧.
(٣١) د.فريد حاتم الشحف، العلاقات الروسية الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوستراتيجية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، دمشق: دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠٥، ص١٢٧.
(٣٢) د.السيد محمد يونس، المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، مطابع رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٥هـ، ص١٩- ٢٠.
(٣٣) دار العلم للملايين، مرجع سابق، ص٢٩٣٣.
(٣٤) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص١٣٦، ١٢٤.
(٣٥) دار العلم للملايين، مرجع سابق، ص٢٩٣٣.

(٣٦) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٣٧) مسعود الخوند، المرجع نفسه، ص١٧.

(٣٨) مركز أنصار الإعلام، مرجع سابق، ص١١.

(٣٩) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ص٣٦٦-٣٦٧.

(٤١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ج٣، بيروت: المؤسسة، ١٩٨٠، ص١٩٤.

(٤٢) طه باقر، د.فوزي رشيد، رضا جواد هاشم، تاريخ إيران القديم، بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص٤٠.

(٤٣) طه باقر، مرجع سابق، ص(٣٦٧) (٣٩٤).

(٤٤) مركز انصار الإعلام، مرجع سابق، ص١٣.

(٤٥) محمد الخضري، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق وتعليق إبراهيم أمين محمد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د. ت، ص٢٧٢.

(٤٦) أ- مركز انصار الإعلام. مرجع سابق، ص١٣- ١٤.

ب- د.إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٧م- ١٤٩٧هـ/ ١٩٨٠م، (الجزء الأول- الجناح الآسيوي)، الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٩٥، ص٣٨٩.

(٤٧) د.محمد نصر مهنا انتشار الإسلام في آسيا (الجزء الثاني- منذ الغزو المغولي. دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية)، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ط٢، ١٩٩٧، ص٤٧٤.

(٤٨) د.إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، مرجع سابق، ص٣٦٧.

(٤٩) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ج١، بيروت: المؤسسة، ١٩٧٨م، ص٤٥٧.

(٥٠) د.محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص٦٣.

(٥١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر. مرجع سابق، ص٣٤١ -٣٤٢.

(٥٢) د.فتحية النبراوي، د.محمد نصر مهنا، أصول العلاقات السياسية الدولية، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٥م، ص٢٤١.

(٥٣) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٥.
(٥٤) مركز أنصار الإعلام، مرجع سابق، ص١٦.
(٥٥) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٥.
(٥٦) مجموعة من الكتاب، التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي، بغداد: شركة الإنعام للطباعة المحدودة، ٢٠٠٤، ص١١٢.
(٥٧) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٥.
(٥٨) أ- د.محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص٤٧٥، ب- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٥.
(٥٩) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٨، مرجع سابق، ص١٩.
(٦٠) د. عبد العزيز نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩، ص٢٢٧-٢٣٥.
(٦١) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٦.
(٦٢) د.عبد العزيز نوار، محمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص٢٣٧.
(٦٣) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٦-٢٧.
(٦٤) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، بيروت: دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص١٧- ١٨.
(٦٥) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ٥٩٧/١.
(٦٦) ينظر: في ذلك، روجر باركنسن، موسوعة الحرب الحديثة، ج٢، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٩٠، ص٥١٥- ٥١٧.
(٦٧) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٨، مرجع سابق، ص١٩.
(٦٨) محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص٤٨٣.
(٦٩) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٨.
(٧٠) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ٢٩/١.
(٧١) مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين، ج٢، د.م، المركز، ١٤٣٠هـ، ص٢- ٣.
(٧٢) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٢٠.

(٧٣) مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين، ج٢، مرجع سابق، ص٥.

(٧٤) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٩.

(٧٥) هم من شعوب جنوب روسيا المسيحية من أصل شركسي معروفين بالشجاعة والمهارة في القتال والرصد والتجسس خضعوا للروس منذ عهد بطرس الأكبر وكاترين وباتوا عماد الجيش الروسي في القوقاز.

(٧٦) د.أحمد موسى الشيشاني، مرجع سابق، ص٧٨– ٨٦.

(٧٧) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٩.

(٧٨) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١١٨.

(٧٩) د.أحمد موسى الشيشاني، مرجع سابق، ص١٠١– ١٥٣.

(٨٠) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٢٣.

(٨١) د.أحمد موسى الشيشاني، مرجع سابق، ص١٥٣–١٦٧.

(٨٢) مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين ج٢، مرجع سابق، ص١٥.

(٨٣) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٢٤.

(٨٤) أحمد موسى الشيشاني، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٨٥) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٢٥.

(٨٦) المرجع نفسه، ص٢١.

(٨٧) مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين، ج٢، مرجع سابق، ص٥.

(٨٨) إحسان عبد الحميد خن، المرجع نفسه، ص٢٥– ٢٩.

(٨٩) السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٢١.

(٩٠) مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين، ج٢، مرجع سابق، ص٢٥.

(٩١) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٣٣.

(٩٢) مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين، ج٢، مرجع سابق، ص٢٦.

[٩٣] مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١٩٩.

[٩٤] مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين، ج٢، مرجع سابق، ص٢٦.

[٩٥] د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٣٣.

[٩٦] هو اسم أطلق على الثورة المضادة للشيوعية التي قام بها الروس المؤيدين للحكم القيصري مضاهاة للثورة الحمراء السوفيتية، وتلقت دعماً من عدد كبير من الدول الأوربية وأميركا واليابان والتي نشبت إثرها الحرب الأهلية الروسية وحروب التدخل الأجنبي (١٩١٨- ١٩٢٢) وانتهت بانتصار الجيش الأحمر (لسوفيتي).

[٩٧] مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١١٩.

[٩٨] إحسان عبد الحميد خن، المرجع نفسه، ص٣٢.

[٩٩] د.فهمي النجار، الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، الرياض: دار الفضيلة، ٢٠٠٥، ص٢٥١.

[١٠٠] إحسان عبد الحميد خن، المرجع نفسه، ص٣٢.

[١٠١] د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٤٩.

[١٠٢] د.فهمي النجار، مرجع سابق، ص٢٥١.

[١٠٣] مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١١٩.

[١٠٤] مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين، ج٢، مرجع سابق، ص١٤.

[١٠٥] د.إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، مرجع سابق، ص٣٩٠- ٣٩٣.

[١٠٦] زليم خان يندربي، الشيشان- السياسة والواقع، ترجمة د.سليمان ماجد، مصر- بنها: د.ن، ٢٠٠١، ص١٢.

[١٠٧] مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١١٩.

[١٠٨] إحسان عبد الحميد خن، المرجع نفسه، ص٣٤.

[١٠٩] زبغنيو برجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيوستراتيجيا، ترجمة مركز الدراسات العسكرية، بيروت: مركز الدراسات العسكرية، ط٢، ١٩٩٩، ص١٢.

[١١٠] د.محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص٤٨٧- ٤٨٨.

(١١١) محمد بوذينة، أحداث القرن العشرين ١٩٩٠- ١٩٩٩، تونس: منشورات محمد بوذينة، ٢٠٠٠، ص١٥٧.
(١١٢) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص١٣٦.
(١١٣) غادر معظم الأرمن البلاد إثر الحرب بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم ناكورنو كرباخ.
(١١٥) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٢٣- ٢٢٤.
(١١٦) تعرف في كتابات المؤرخين العرب ببلاد الكرج أو (كرج ستان).
(١١٧) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٨، مرجع سابق، ص١٧.
(١١٨) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق ص١٩-٢٠.
(١١٩) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، بيروت: دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص٦٤.
(١٢٠) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص٦٤- ٦٥.
(١٢١) د.إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، مرجع سابق، ص٣٦٧.
(١٢٢) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص٢٠.
(١٢٣) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١٠٧.
(١٢٤) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص٤٠-٤١.
(١٢٥) د.إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، مرجع سابق، ص٣٩٥.
(١٢٦) د.محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص٤٩٣.
(١٢٧) زبغنيو برجنسكي، مرجع سابق، ص١٢٠.
(١٢٨) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٦٥.
(١٢٩) زليم خان يندربي، مرجع سابق، ص١٤.
(١٣٠) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٧٢.
(١٣١) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١١٤.
(١٣٢) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٧٢.
(١٣٣) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١٠٩.
(١٣٤) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٤٠.
(١٣٥) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١١٠.
(١٣٦) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٤١.

(١٣٧) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٧٢.
(١٣٨) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص١١٢.
(١٣٩) أ- محمد بوذينة، مرجع سابق، ص٤٢٢، ب- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١١، بيروت: دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص٦٤.
(١٤٠) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٨٥-٩٩.
(١٤١) المرجع نفسه، ص٦٨- ٦٩.
(١٤٢) محمد بوذينة، مرجع سابق، ص٤٧٨- ٤٧٩.
(١٤٣) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٧٣.
(١٤٤) المرجع نفسه.
(١٤٥) د.السيد محمد يونس، مرجع سابق، ص١٨٧- ١٨٨.
(١٤٦) إحسان عبد الحميد خن، مرجع سابق، ص٥٠.
(١٤٧) زليم خان يندربايي، مرجع سابق، ص١٨.
(١٤٨) محمد بوذينة، مرجع سابق، ص٤٩٥- ٤٩٦.
(١٤٩) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١١، مرجع سابق، ص١٧٧.
(١٥٠) زليم خان يندربايي، مرجع سابق، ص٢٠- ٢١.
(١٥١) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١١، مرجع سابق، ص١٧٩.
(١٥٢) زليم خان يندربايي، مرجع سابق، ص١٥،٢٢، ٢٤.
(١٥٣) مسعود الخوند، «الموسوعة التاريخية الجغرافية»، ج١، مرجع سابق، ص١٤٢- ٢٤١.
(١٥٤) د. فريد حاتم الشحف، مرجع سابق، ص١٢٣.
(١٥٥) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٤١- ٢٤٢.
(١٥٦) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٨، مرجع سابق، ص٢١.
(١٥٧) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص١٨.
(١٥٨) إريك هوسلي، روسيا جورجيا: ماذا تخفي معركة القوقاز؟ مجلة الإنساني- اللجنة الدولية للصليب الأحمر، العدد ٤٤، خريف ٢٠٠٨، ص٧.
(١٥٩) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص١٨.
(١٦٠) إريك هوسلي، مرجع سابق، ص٧.
(١٦١) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص١٨- ١٩.

(١٦٢) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٨، مرجع سابق، ص٢٧.
(١٦٣) إريك هوسلي، مرجع سابق، ص٧- ٨.
(١٦٤) رائد جبر، تجدد أعمال العنف في الجمهوريات الإسلامية الروسية، صحيفة الحياة اللندنية، بيروت، ١٨/٧/ ٢٠٠٨.
(١٦٥) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص٦٤- ٦٥.
(١٦٦) إريك هوسلي، مرجع سابق، ص٧- ٨.
(١٦٧) رائد جبر، مرجع سابق.
(١٦٨) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، مرجع سابق، ص٦٥-٦٦.
(١٦٩) رائد جبر، مرجع سابق.
(١٧٠) الوثيقة رقم EUR- ٢٠٠٩/٠١٥/٤٦ الصادرة في ٢٠٠٩/٧/٧ من قبل كل من: اللجنة السويدية الهلسنكية، اللجنة النرويجية الهلسنكية، المركز التذكاري لحقوق الإنسان، الاتحاد الدولي لحقوق الإنسان، منظمة مراقبة حقوق الإنسان، الجمعية النمساوية الهلسنكية، منظمة العفو الدولية.
(١٧١) منظمة اليونسيف، تقرير العمل الإنساني حول شمال القوقاز للعام ٢٠٠٧.
(١٧٢) عماد جاسم محمد، العلاقات الروسية التركية بعد عام ١٩٩١ وآفاقها المستقبلية- رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص١٠٣- ١٠٤.
(١٧٣) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٤٢.
(١٧٤) عماد جاسم محمد، مرجع سابق، ص١٠٦- ١٠٨.
(١٧٥) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٤٢.
(١٧٦) د.محمد مسلم الحسيني، الحرب الروسية الجورجية: النتائج والأبعاد (مقال)، شبكة النبأ المعلوماتية، ٢٠٠٨/٩/٧.
(١٧٧) السيدة زهرة، ماذا بعد عودة الدب الروسي؟ أبعاد ونتائج النكسة الأميركية في القوقاز (مقال) شبكة البصرة، ٢٠٠٨/٨/١٨.
(١٧٨) حميد فارس حسن، السياسة التركية ما بعد الحرب الباردة- أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦، ص٣١٤.
(١٧٩) عماد جاسم محمد، مرجع سابق، ص١١٢.

(١٨٠) تعبير يقصد به الشعوب ذات الأصول التركية والسائدة في تركيا ومعظم جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية.

(١٨١) حميد فارس حسن، مرجع سابق، ص٣٢٣-٣٢٤.

(١٨٢) عمار جفال، التنافس التركي الإيراني في آسيا الوسطى والقوقاز- ملخص كتاب، عرض وتحليل علي القحيط، جريدة الرياض، العدد ١٣٤٧٨، ٢٠٠٥/٥/١٩.

(١٨٣) زبيغنيو برجنسكي، مرجع سابق، ص٤٢.

(١٨٤) عماد جاسم محمد، مرجع سابق، ص١٣٣.

(١٨٥) د.فريد حاتم الشحف، مرجع سابق، ص١٢١- ١٢٢.

(١٨٦) زبيغنيو بريجنسكي، مرجع سابق، ص١٣٠.

(١٨٧) عمار جفال، مرجع سابق.

(١٨٨) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(١٨٩) عمار جفال، مرجع سابق.

(١٩٠) د.فريد حاتم الشحف، مرجع سابق، ص١٢٢.

(١٩١) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، مرجع سابق، ص٢٤٤.

(١٩٢) د.فريد حاتم الشحف، مرجع سابق، ص١٢٢.

المراجع

١- إحسان عبد الحميد خن، الشيشان حرب إبادة وجريمة عصر، دمشق: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٧.

٢- أحمد موسى الشيشاني، حرب القوقاز الأولى، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، مطابع رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٥هـ.

٣- إريك هوسلي، روسيا جورجيا: ماذا تخفي معركة القوقاز؟ مجلة الإنساني، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، العدد ٤٤، خريف ٢٠٠٨.

٤- إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٧م- ١٤٩٧هـ/ ١٩٨٠م، (الجزء الأول- الجناح الآسيوي)، الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٩٥.

٥- بول آميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة شكري علاوي، بيروت: مكتبة الحياة، د.ت.

٦- حميد فارس حسن، السياسة التركية ما بعد الحرب الباردة- أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦.
٧- دار العلم للملايين، مجلة المعرفة، المجلد السادس عشر (القوقاز)، بيروت: الدار، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣.
٨- رائد جبر، تجدد أعمال العنف في الجمهوريات الإسلامية الروسية، صحيفة الحياة اللندنية، بيروت، ١٨/٧/ ٢٠٠٨.
٩- روجر باركنسن، موسوعة الحرب الحديثة، ج٢، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبـــي، بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٩٠.
١٠-زبغنيو برجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيوستراتيجيا، ترجمة مركز الدراسات العسكرية، بيروت: مركز الدراسات العسكرية، ط٢، ١٩٩٩.
١١-زليم خان يندربي، الشيشان- السياسة والواقع، ترجمة د.سليمان ماجد، مصر- بنها: د.ن، ٢٠٠١.
١٢-السيد محمد يونس، المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي،مكة المكرمة- رابطة العالم الإسلامي، مطابع رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٥هـــ.
١٣-السيدة زهرة، ماذا بعد عودة الدب الروسي؟ أبعاد ونتائج النكسة الأميركية في القوقاز (مقال) شبكة البصرة، ١٨/٨/٢٠٠٨.
١٤-طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦.
١٥-طه باقر، د.فوزي رشيد، رضا جواد هاشم، تاريخ إيران القديم، بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩.
١٦-عبد العزيز نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩.
١٧-عماد جاسم محمد، العلاقات الروسية التركية بعد عام ١٩٩١ وآفاقها المستقبلية، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٨.
١٨-عمار جفال، التنافس التركي الإيراني في آسيا الوسطى والقوقاز- ملخص كتاب، عرض وتحليل علي القحيط، جريدة الرياض، العدد ١٣٤٧٨، ١٩/٥/٢٠٠٥.

١٩-فتحية النبراوي، محمد نصر مهنا، أصول العلاقات السياسية الدولية، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٥.
٢٠-فريد حاتم الشحف، العلاقات الروسية الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوستراتيجية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، دمشق: دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠٥.
٢١-فهمي النجار، الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، الرياض: دار الفضيلة، ٢٠٠٥.
٢٢-مجموعة من الكتاب، التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي، بغداد: شركة الإنعام للطباعة المحدودة، ٢٠٠٤.
٢٣-محمد بوذينة، أحداث القرن العشرين ١٩٩٠- ١٩٩٩، تونس: منشورات محمد بوذينة، ٢٠٠٠.
٢٤-محمد الخضري، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق وتعليق: إبراهيم أمين محمد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د. ت.
٢٥-محمد مسلم الحسيني، الحرب الروسية الجورجية: النتائج والأبعاد (مقال)، شبكة النبأ المعلوماتية، ٢٠٠٨/٩/٧.
٢٦-محمد نصر مهنا انتشار الإسلام في آسيا (الجزء الثاني- منذ الغزو المغولي، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية)، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ط٢، ١٩٩٧.
٢٧-مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي إلى إمارة المجاهدين، ج١، د.م، المركز، ١٤٣٠هـ.
٢٨-مركز أنصار الإعلام، سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي حتى عهد إمارة المجاهدين، ج٢، د.م، المركز، ١٤٣٠هـ.
٢٩-مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، بيروت: دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤.
٣٠-مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤، بيروت: دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥.
٣١-مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٨، بيروت: دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.
٣٢-منظمة اليونسيف، تقرير العمل الإنساني حول شمال القوقاز للعام ٢٠٠٧.

٣٣- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ج١، بيـــروت: المؤسســـة، ١٩٧٨.
٣٤- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ج٣، بيروت: المؤسسة، ١٩٨٠.
٣٥- الوثيقة رقم EUR- ٠١٥/٤٦/ ٢٠٠٩ الصادرة في ٢٠٠٩/٧/٧ من قبل كل من: اللجنة السويدية الهلسنكية، اللجنة النرويجية الهلسنكية، المركز التذكاري لحقوق الإنسان، الاتحاد الدولي لحقوق الإنسان، منظمة مراقبة حقوق الإنسان، الجمعية النمساوية الهلسنكية، منظمة العفو الدولية.
٣٦- وليد خدوري، ظاهرة أسعار النفط العالية في ٢٠٠٤، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣١٠ سنة ٢٠٠٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.